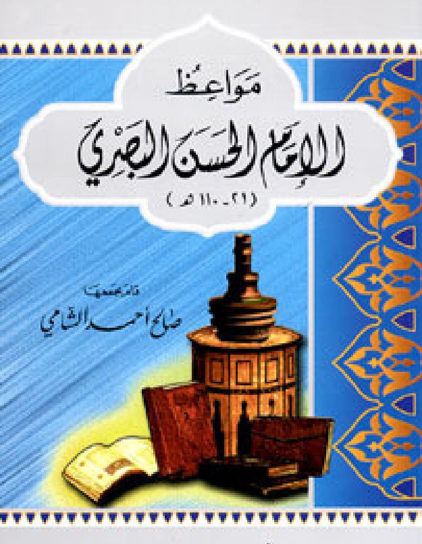


المكتب الإسلامي

معالم في التربية والدعوة

مواعظ

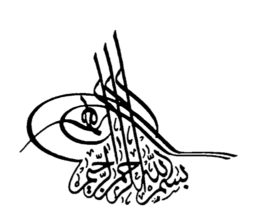
الإمام الحسن البصري

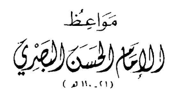
(٢١ - ١١٠ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم


مَوَاعِظ
الإمام الحسن البصري
(٢١ - ١١٠ هـ)

الطبعة الثانية مصححة ومنقحة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المكتب الاسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب ، ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وَبَعْد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب «**مواعظ الإمام الحسن البصري**»، وهو العدد الأول من سلسلة «معالم في التربية والدعوة».

هذه السلسلة التي لاقت ـ والحمد لله ـ قبولاً واستحساناً من القرّاء الكرام، فهي تذكِّر بالسلف الصالح من هذه الأمة، فتضع بين الأيدي نبذة عن حياتهم، وبعضاً من الأقوال التي تبين مكانتهم.. ثم تعرض نصائحهم وتوجيهاتهم.

علىٰ أن بعضهم يرىٰ في المواعظ ـ بشكل عام ـ أنها تدعو إلىٰ الانسحاب من الحياة، وإلىٰ ترك العمل والبعد عن الدنيا، والدخول في حال من الزهد

الأعجمي، في وقت أحوج ما نكون فيه إلىٰ العمل المتواصل وبناء الحياة، حتىٰ نحتل المكانة اللائقة بنا في هذا المجتمع الأممي.

وأكبر الظن أن أصحاب هذا المسلك لم يدرسوا كتب هذا الفن، ولم يستوعبوا ما جاء فيها، وظنوا أن «الموعظة» لا تكون «موعظة» إلا إذا كانت ذماً للدنيا، ودعوة إلىٰ تركها، وهذا خطأ في الفهم وبعدٌ عن الصواب.

وقد وقع هذا الخطأ من بعض التابعين الذين عاصروا الصحابة ﷺ.

قال أبو نضرة: طلبت حاجة إلىٰ عمر في خلافته، فانتهيت إلىٰ المدينة ليلاً، فغدوت عليه، وقد أُعطيتُ فطنة ولساناً، فأخذتُ في الدنيا فصغرتُها فتركتُها لا تسوىٰ شيئاً، وإلىٰ جنبه رجل أبيض الشعر، أبيض الثياب. فقال لما فرغتُ:

كل قولك كان مقارباً، إلا وقوعك في الدنيا، وهل تدري ما الدنيا؟ إن الدنيا فيها بلاغنا إلىٰ الآخرة، وفيها أعمالنا التي نُجزىٰ بها في الآخرة.

قال: فأخذ في الدنيا رجل هو أعلم بها مني، فقلت: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل الذي إلىٰ جنبك؟

قال: سيد المسلمين أُبيّ بن كعب[1].

وهكذا يصحح هذا الخطأ الخطير.

إن هذه السلسلة ـ وكثير من كتب الرقائق مثلها ـ تتناول كل شؤون الحياة، فتحث الكسالىٰ علىٰ العمل، وتدعو المنغمسين في المعاصي إلىٰ التوبة، والمنكبِّين علىٰ جمع الدنيا إلىٰ عدم نسيان ما ينبغي عمله من أجل الآخرة.

وهي تدعو إلىٰ التوازن في كل شؤون الحياة، وإلىٰ الحفاظ علىٰ الوقت، وإلىٰ تصحيح المفاهيم التي أصابها التحريف والتشويه.

إننا لا ننكر أن قسماً كبيراً منها ينصب في أمر الآخرة، وذلك ناتج عن الفهم الصحيح لغاية الوجود

---

(١) «مواعظ الصحابة» ص٢٦٢، نشره المكتب الإسلامي، بيروت.

الإنساني الذي سجله القرآن الكريم بقوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

إن الآية الكريمة تلفت النظر إلىٰ ضرورة العمل المتوازن فيعمل الإنسان للدنيا بقدر مقامه فيها ويعمل للآخرة بقدر مقامه فيها. وهذا أيضاً يفسّر لنا كثرة المواعظ المتعلقة بالآخرة.

وخلاصة القول: إن هذا الموضوع بمجموعه يدخل تحت قوله ﷺ: (الدين النصيحة).

وحاجة الأمة إلىٰ هذا اللون من الكتب، لا يقل بحال من الأحوال عن حاجتها إلىٰ كتب الفقه والعقيدة.

يقول الشيخ سعيد حوىٰ رحمه الله:

«افتح كتاب توحيد، وكتاب فقه.. فإنك لا تجد فيهما أي إشارة لقضية القلب وعلومه، فكتب التوحيد تعصم العقل من الخطأ في باب العقائد، وكتب الفقه تعصم العمل من الخطأ، ولكن لا تجد في هذه الكتب أي تفصيل في باب القلب والنفس والشعور.. ولا

تعثر فيها علىٰ بحث عن أدب الحياة والتعامل. . »[1].

وقال الشيخ محمد الغزالي السقا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الدين الحق: عقل سليم، وضمير حي، أما الثروة الطائلة من النظريات، والفقر المدقع في المشاعر النبيلة، والاتجاهات الكريمة فليس تديُّناً مقبولاً.

والسؤال الذي نريد الإجابة عليه:

- كيف نحقق هذا الدين؟
- كيف نربي في القلوب الإحساس بجلال الله، والخشوع لعظمته؟
- كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق؟
- كيف نحول معرفة الله إلىٰ مذاق حلو يطبع النفوس علىٰ الرقة، ويصفي السرائر من كدرها. . . »[2].

---

(١) كتاب «جولات في الفقهين الكبير والأكبر» ص١١٨، دار الأرقم، عمان.

(٢) كتاب «ركائز الإيمان» ص١٠٢، دار الاعتصام.

وهكذا يلتقي الشيخان علىٰ طرح هذه المشكلة، التي جعلت بعض المسلمين في خواء روحي بعيداً عن الإسلام الذي جاء في الكتاب والسنّة.

ويذهب الشيخ الغزالي ليلقي الأضواء علىٰ أسباب المشكلة فيقول:

«إن علماءنا الأوائل كانوا يجمعون بين سعة العلم، وصدق الصلة بالله، والأجيال التي استمعت إليهم كانت تفيد منهم الأمرين معاً.

- نضارة القلب المتجه إلىٰ الله.
- وإشراق الفقه الذي يضيء الطريق إليه.

فهم علماء ومربون في وقت واحد..».

وإذا كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسجل هذه الملاحظة ويشيد بها، فإنه في الوجه المقابل يسجل عتبه عليهم: أنهم لم يسجلوا هذا المسلك في كتبهم فيقول:

«.. إن هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدىٰ جمهرة الفقهاء والمتكلمين.

إن فقهاءنا الذين كتبوا المجلدات في غسل

الأطراف ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم. .

وإن المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في الشؤون الإلٰهية المغيبة، ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس في الله. .

لقد كان ذلك ـ والله ـ أجدىٰ علىٰ الإسلام وأهله، من بحوثهم العميقة في الذات والصفات. .»[1].

إن الشيخين ـ الغزالي وحوىٰ رحمهما الله ـ وغيرهما ممن سجل مثل هذه الملاحظات يقررون وجود هذه المشكلة التي ينبغي السعي لحلها. . ولعل الغزالي يضع بين أيدينا واحداً من الحلول عندما قال:

«وإني أعترف بأني حسنت صلتي بالله كثيراً علىٰ أثر كلمات قرأتها لـ« الغزالي» و«ابن الجوزي» و«ابن تيمية» و«ابن القيم» و«ابن عطاء الله السكندري» مع ما بين أولئك جميعاً من تفاوت في المشرب واختلاف النظرة. .»[2].

---

(١) «ركائز الإيمان» ص١٠٣.

(٢) المرجع قبله، ص١٠٧.

والذي توصل إليه الشيخ الغزالي، كان الإمام ابن الجوزي قد قرره بوضوح كامل، وعرج علىٰ ما قاله الشيخ سعيد حوىٰ وعرضه بجلاء ووضوح فقال:

«رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين.

وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق.

لأني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث، همة أحدهم في الحديث العالي، وتكثير الأجزاء.

وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغلب به الخصم.

وكيف يرقُّ القلب في هذه الأشياء؟!

وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح، للنظر إلىٰ سمته وهديه، لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه: هديه وسمته».

وبعد أن شرح ابن الجوزي المشكلة، وبيّن أسبابها، أطلعنا علىٰ جهده ومساهمته في حلها فقال:

«وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الأخيار كتاباً فيه أخباره وآدابه، فجمعت كتاباً في أخبار «الحسن» وكتاباً في أخبار «سفيان الثوري» و«إبراهيم بن أدهم» و«بشر الحافي» و«أحمد بن حنبل» و«معروف» وغيرهم من العلماء والزهاد، والله الموفق»[1].

وهكذا يلتقي الغزالي مع ابن الجوزي في أثر المواعظ في النفوس علىٰ ما بينهما من فاصل زمني.

إن الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، عندما تخرج من معدنها، هذا المعدن الذي هو الرجل المسلم الصالح الذي التزم بالكتاب والسنّة، وعمل بما علم، وكانت موعظته ونصيحته عملاً بقوله ﷺ: (الدين النصيحة).. إنه لا بد لمثل هذه الكلمة أن تؤتي ثمارها.

وإني إذ أضع هذه السلسلة بين الأيدي، فإنما أضع خلاصة تجارب حياة، وتطبيقات عِلْم لأئمة أعلام، طبقت شهرتهم الآفاق، وعرفوا بالفضل

(١) «صيد الخاطر» ص٢٠٠، طبعة دار كاتب وكتاب، بيروت.

وصدق النصح لهذه الأمة في حياتهم، وبما تركوه بعد مماتهم.

واللهَ ـ سبحانه ـ المرجو أن ينفعنا بما نسمع، وأن نعمل به ليكون حجة لنا لا حجة علينا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة صفر ١٤٢٥هـ
٢٢ آذار ٢٠٠٤م

صالح أحمد الشامي

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وَبَعْـدُ:

ما زالت الكلمة الطيبة وسيلة من الوسائل الفعالة في تقويم سلوك الناس وإرشادهم إلىٰ الطريق المستقيم، ورُبَّ كلمة سمعها مذنب أو مقصر فكانت سبباً في تغيير طريقه وتحويل اتجاهه... فكان لها ثمرات يانعة.

ولهذا المعنىٰ كان العالم امتداداً لمعنىٰ النبوة في الخلق، وبهذا المعنىٰ كان العلماء ورثة الأنبياء. فهم قادة الأمة علىٰ طريق الحق، وبسلوكهم ومواعظهم تكون المعالم علىٰ الطريق..

ومن هؤلاء العلماء الربانيين، الذين امتلكوا ناصية الكلمة، فكانت طوع لسانهم يغذيها الفكر

الثاقب والإيمان المتدفق، مع صدق في اللهجة، وتطبيق للقول. . الإمام الحسن البصري، رحمه الله تعالىٰ.

فقد كان واحداً من العلماء العاملين، والزهاد الورعين، وقد آتاه الله الحكمة حتىٰ قيل في وصف كلامه: أنه يشبه كلام الأنبياء، كما أن سمته شبيه بسمت الصحابة ﷺ. . فكتب الله له القبول في القلوب.

ولقد شملت مواعظه وأقواله شتىٰ ميادين الحياة، موجِّهة إلىٰ الحق، باعثة علىٰ الخير مرغبة فيه، منفرة من الشرّ، نافذة إلىٰ حقائق الأشياء، لأنها مرَّت عَبْرَ ميدان التطبيق في الحياة، ولم تكن مجرد كلام منمق صاغه الفكر بعيداً عن الواقع، فكان جميل الرواء فاقد الحياة.

كانت الموعظة عند الحسن خلاصة تجربة اشترك فيها الإيمان والعمل، ولذلك جاءت صادقة معبرة، فهي وصفة طبيب حاذق مجرب، يصفها عن علم ودراية، ولذا جاءت نافعة مؤثرة.

فقد نفع الله بمواعظه كثيراً من الناس. . فكانت

الكلمة الطيبة التي ضربها الله مثلاً، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم].

وعلىٰ الرغم من قيمة هذه المواعظ وسعة أثرها، فإنها ظلت متناثرة في كتب الرقائق والأدب، فكان الوصول إليها يحتاج إلىٰ الجهد والوقت.

فرأيت أن أقوم بجمع ما تيسَّر لي منها، لتكون قريبة المتناول، فعسىٰ أن تصل كلمة منها إلىٰ أذن واعية فيكون فيها الهداية والخير.

وقد وضعت لكل موعظة أو حكمة عنواناً يشير إلىٰ بعض ما فيها تيسيراً علىٰ القارئ، ولم أقصد إلىٰ ترتيب الموضوعات، ذلك أن التلوين يبعث في القارئ الهمة ويبعده عن الملل.

وإن كان من شيء أتمناه لنفسي ولإخواني من المسلمين، فهو أن ينفعنا الله بما نقرأ، وأن يكون ذلك دافعاً إلىٰ العمل، وألّا يكون مجرد قراءة تقوم بها الحجة علينا.

هذا، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل وجميع

أعمالنا خالصة له، إنه نعم المسؤول. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة المحرم ١٤١٨هـ
٧/ ٥/ ١٩٩٧م

صالح أحمد الشامي

ترجمة الحسن رحمه الله

الحسن بن يسار ـ ويقال له أيضاً: الحسن بن أبي الحسن ـ أبو سعيد البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه (سنة ٢١هـ) من أبوين جُلِبَا إلىٰ المدينة من سبي ميسان[١].

قال الحسن: كان أبي وأمي لرجل من بني النجار، فتزوج امرأة من بني سلمة، فساق أبي وأمي في مهرها، فأعتقتنا السلمية.

وفي رواية أن أباه كان مولىً لزيد بن ثابت الأنصاري، وأن أمه كانت مولاة لأم سلمة، زوج النبي ﷺ.

ومهما يكن من أمر، فإن والدَيْ الحسن كانا رقيقين أُعتقا.

---

(١) هي كورة بين البصرة وواسط.

وكانت أمه تخدم أم سلمة، فكانت ترسلها في الحاجة، فتشغل عن ابنها الصغير، فكانت أم سلمة تشاغله بثدييها، فيدران عليه، فيرضع منهما، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أُوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة.

نشأ الحسن ـ إذن ـ في المدينة، والتقىٰ بالصحابة وسمع منهم.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ وسيماً جميلاً، حتىٰ كان ذلك علامة مميزة له، فقد قال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة: إذا نظرت إلىٰ رجل أجمل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن، فأقرئه مني السلام.

وكان من الشجعان الموصوفين، وكان المهلب بن أبي صفرة إذا قاتل المشركين يقدمه.

قال محمد بن سعد: كان الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ جامعاً عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً..

وكان خطيباً فصيحاً، بل هو من أفصح الناس[1].

---

(١) هذه الترجمة ملخصة من: «سير أعلام النبلاء» ٤/٥٦٣ وما بعدها، و«البداية» ٩/٢٦٦ وما بعدها.

علمه ووعظه:

كان رَحِمَهُ اللهُ المقدم في علمه، حتىٰ أُطلق عليه لقب «شيخ البصرة».

فقد كان فقيهاً، محدثاً، مفسراً. . وأقواله منثورة في كتب الفقه والتفسير، وكذلك مروياته من الأحاديث منثورة في كتب الحديث.

وقد كان واعظاً متمكناً، له تأثيره علىٰ القلوب، ولعل هذا الجانب هو الذي غلب علىٰ شهرته.

وهو في وعظه مطبق لما يدعو الناس إليه، وهذا ما جعل له القبول في القلوب.

وقد تحدث مالك بن دينار، عن الذين كان لهم الأثر في القلوب فقال: «بلىٰ والله، لقد رأيناهم: الحسن، وسعيد بن جبير، وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام[1] من الناس»[2].

وقال الأعمش: ما زال الحسن البصري، يعي

---

(١) الفئام: الجماعة من الناس.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٣٦٠.

الحكمة حتىٰ نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر، محمد بن علي بن الحسين ـ الباقر ـ قال: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»[1].

وقال الغزالي: «كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة»[2].

ومن الكلمات الدقيقة الصادقة في تصويرها للحسن في وعظه، ما قال مطر الوراق في ذلك: «لما ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما عاين»[3].

سلوكه وزهده

قال أبو بردة بن أبي موسىٰ الأشعري: «ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد ﷺ منه»[4].

وقال خالد بن صفوان: لما لقيت مسلمة بن عبد الملك بالحيرة، قال: يا خالد، أخبرني عن حسن

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٤٧، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٥.
(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٧٧.
(٣) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٣.
(٤) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٢.

أهل البصرة. قلت: أصلح الله الأمير، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلىٰ جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قِبلي به:

«أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد علىٰ أمر قام به، وإن قام علىٰ أمر قعد عليه، وإن أَمَرَ بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهىٰ عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه».

قال: حسبك يا خالد، كيف يضلُّ قوم هذا فيهم؟![1].

وكان الحسن دائم الأحزان، فقد غلب عليه ذكر الآخرة، ولكنَّ هذا لم يوصله إلىٰ السلوك الأعجمي الذي بدأ يتفشىٰ في زمنه.

فقد كان معتدلاً في طعامه، قال أبو هلال: «قلما دخلنا علىٰ الحسن؛ إلا وقد رأينا قدراً يفوح منه ريح طيبة»[2].

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٤٧.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٤.

بل كان له عناية بالفاكهة، وهي من النوافل في أمر الطعام، قال قتادة: «دخلنا علىٰ الحسن وهو نائم، وعند رأسه سلة، فجذبناها، فإذا فيها خبز وفاكهة، فجعلنا نأكل، فانتبه فرآنا، فسرَّه فتبسم وهو يقرأ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[1] [النور: ٦١].

كما كان متأنقاً في ملبسه. قال يونس: «كان الحسن يلبس في الشتاء قَبَاءً حبرة، وطيلساناً كردياً، وعمامة سوداء، وفي الصيف إزار كتان، وقميصاً وبرداً حبرة»[2].

وقال سلام بن مسكين: رأيت علىٰ الحسن قَباء مثل الذهب يتألق[3].

والذي يبدو أنه كان يلبس ما تيسر له، وقد سئل عن رأيه في أحب اللباس فقال: أغلظه وأخشنه، وأوضعه عند الناس[4].

وهذا لا يعني إقراره لبعض النساك في ذهابهم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٧.
(٢)(٣) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٥.
(٤) «الحسن البصري» لابن الجوزي ٧٧.

إلىٰ قصد الخشونة في اللباس، بل كان ينكر عليهم، فقد ذكر عنده الذين يلبسون الصوف، فقال: ما لهم؟ تفاقدوا[1]... أكنّوا الكِبْرَ في قلوبهم[2]..

وأما أثاث بيته فكان متواضعاً. قال مطر الوراق: دخلنا علىٰ الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء، لا فراش ولا بساط ولا وسادة ولا حصير؛ إلا سرير مرمول[3] هو عليه[4].

وهذه الصورة تذكرنا بالصورة التي نقلها لنا عمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ عندما قال:

(فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع علىٰ رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئاً علىٰ وسادة من أدم حشوها ليف.. فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر..)[5].

---

(١) هذا دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً.
(٢) «عيون الأخبار» ٢/ ٣٧٢.
(٣) أي: سرير نسج من حصير.
(٤) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٢.
(٥) متفق عليه (خ٥١٩١، م ١٤٧٩)، وقد تكررت الصورة نفسها في فعل عمر ﷺ.

وإذن فقد كان الحسن بفعله هذا متأسياً برسول الله ﷺ.

وكان محل إجماع العلماء ـ في زمنه وما بعده ـ في الثناء عليه، وكانوا يتناقلون أخباره في حياته.

قال أبو بكر الهذلي: قال لي السفاح: بأي شيء بلغ حَسَنَكُم ما بلغ؟ فقلت: جمع القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم لم يخرج من سورة إلىٰ غيرها حتىٰ يعرف تأويلها، وفيما أُنزلت، ولم يقلب درهماً في تجارة، ولا ولي سلطاناً، ولا أمر بشيء، حتىٰ يفعله، ولا نهىٰ عن شيء حتىٰ ودعه[1].

وفاته:

عن أبان بن محبر قال: لما حضر الموت الحسن دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له: يا أبا سعيد، زودنا منك كلمات تنفعنا بهن.

قال: إني مزودكم ثلاث كلمات، ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له: ما نُهيتم عنه من أمر،

---

(١) «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي، ١/١٣٧.

فكونوا من أترك الناس له، وما أُمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان: خطوة لكم وخطوة عليكم[1]، فانظروا أين تغدون وأين تروحون[2].

وقال صالح المري: دخلت علىٰ الحسن وهو في الموت، وهو يكثر الاسترجاع[3]، فقال له ابنه: أمثلك يسترجع علىٰ الدنيا[4]؟ قال: يا بني، ما استرجع إلا علىٰ نفسي التي لم أصب بمثلها قط[5].

---

(١) أعطىٰ الإسلام الوسائل حكم الغايات، فخطوات كل إنسان نوعان: فما كان في سبيل الخير كالذهاب إلىٰ الصلاة فهو مثاب عليه، وما كان في سبيل الشر ففيه الإثم.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ١٥٤.

(٣) هو قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد جاء في ذلك قوله تعالىٰ:
﴿الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

(٤) ظن الابن أن أباه يسترجع بسبب ما فاته من الدنيا بسبب الموت.

(٥) «عيون الأخبار» ٣/ ١٦٧.

وكانت وفاة الحسن رضي الله عنه ليلة الجمعة في أول رجب من سنة عشر ومائة، وقد عاش كما قال ابنه، نحواً من ثمان وثمانين سنة.

وكانت جنازته مشهودة وصلي عليه عقيب صلاة الجمعة بالبصرة، فشيعه الخلق وازدحموا عليه.

قال حميد الطويل: وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه، فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة، حتىٰ لم يبق بالمسجد من يصلي العصر[1].

فرحم الله الحسن وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/٥٨٧، «وفيات الأعيان» ٢/٧٢.

محاور الوعظ عند الحسن رحمه الله

كان الحسن رَحِمَهُ اللهُ علماً من أعلام المسلمين في شتىٰ ميادين المعرفة، فكانت حلقته يمر فيها: الحديث والفقه، وعلم القرآن واللغة.. وكان رواد حلقته منهم من كان يصحبه للحديث، ومنهم من كان يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم التربية..

ولكن شهرته ـ فيما بعد ـ كواعظ زاهد، طغت علىٰ كل ما سبق، ومن ثم أصبحت أقواله في هذا الميدان، هي المعالم التي يهتدي بها السائرون في هذا الطريق.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن المستحسن أن نقف بين يدي أقواله، نستطلع المحاور التي سلكها في وعظه، والأسس التي أكدًّ عليها في مواعظه، لعل ذلك يساعدنا في التصور الذي كان يهدف إليه الحسن رَحِمَهُ اللهُ.

ويمكن إجمال ذلك في الأمور التالية:

١ ـ التزام الكتاب والسنة:

كان ذلك في مقدمة ما ألحَّ عليه شيخ البصرة، فهو يقول في هذا الصدد: «رحم الله امرأً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه.. وإن خالفه.. أناب ورجع من قريب».

ويؤكد علىٰ التزام السنة، فهي الطريق الوسط بعيداً عن الغلو والجفاء، ويرىٰ أن أهلها هم أقل الناس.

والتزام الكتاب والسنة يتطلب العلم، ولذا فهو يقول: «الدنيا كلها ظُلْمة إلا مجالس العلماء».

٢ ـ المقارنة بين جيلين:

كثيراً ما كانت مواعظه عن المقارنة بين جيلين: الجيل الذي أدركه وهو جيل الصحابة ﷺ، وجيل تابع التابعين الذين أدركوه.

وهو في مقارنته تلك يريد لفت النظر إلىٰ ما كان عليه السلف، حتىٰ يحذو السامع حذوهم، ويسير علىٰ هدي خطاهم.

فهو يذكر لنا مشاهداته، فيقول مثلاً:

«أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنة نبيهم، ما طوىٰ أحدهم ثوباً . . ».

ويقول:

«أدركت من صدر هذه الأمة قوماً، كانوا إذا أجنَّهم الليل، فقيام علىٰ أطرافهم، يفترشون وجوههم . . ».

وهكذا ينقل هذه الصور المؤثرة الباعثة علىٰ العمل . .

وقد تستفزّه بعض صور الواقع، الذي بَعُدَ عن الصورة الحقة للإسلام، فيدفعه ذلك إلىٰ بيان الفارق بين من يخاطبهم وبين من أدركهم فيقول:

«والله لقد أدركت سبعين بدرياً . . ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق . . ».

إنه يسعىٰ جاهداً لإعادة الصورة التي شاهدها في الصحابة إلىٰ واقع الحياة.

ولعل هذه القضية التي كانت تشغل باله، هي إحدىٰ عوامل الحزن الذي سيطر علىٰ حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ ـ ذكر الدنيا والآخرة:

ذكر الدنيا والآخرة عنده كثير كثير، وهما متلازمتان، فالدنيا دار عمل للآخرة، وهي ميدان التنافس في أعمال البر والخير. والدنيا وسيلة، والآخرة غاية، وهو في هذا الميدان يريد بيان ضآلة الدنيا بالنسبة للآخرة من حيث مدة العيش فيها. ومن حيث نعيم كل منهما.. ثم يخلص إلىٰ أن صرف الهمة إلىٰ الدنيا وإهمال الآخرة. حمق وغرور.

٤ ـ قيمة الوقت:

والحديث عن الدنيا والآخرة يجرنا إلىٰ الحديث عن قيمة الوقت، وهذه القضية تأخذ مساحة لا بأس بها من مواعظه. فيقول:

«يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك».

وهكذا ينبه إلىٰ أمر خطير، بادٍ للعيان، ولكن الناس عنه غافلون، ويزيد الأمر جلاء عندما يبين ـ بأسلوبه المؤثر ـ أن الإنسان بعد موته يتمنىٰ أن يعود إلىٰ الدنيا ولو لساعة واحدة مقابل كل ما تركه لأبنائه

من متاع الدنيا، ليصلي صلاة في هذه الساعة، أو ليسبح تسبيحة، أو يحمد تحميدة..

وهكذا ينبه إلىٰ قيمة الأوقات الضائعة.

٥ ـ الإخلاص في القول والعمل:

وهذا يقتضي البعد عن النفاق والرياء، والعجب بالنفس، كما يقتضي محاسبة النفس ووزن أعمالها..

وقد كثرت مواعظ الحسن في هذا الجانب، بل قلما نجد موعظة إلا وفيها طرف من معالجة هذا الموضوع الخطير في حياة الإنسان، الذي به يكون قبول القول والعمل.

٦ ـ الذنب والتوبة:

لا شك بأن المواعظ من غايتها توبة المذنبين.. وباب التوبة مفتوح، وهذا من فضل الله، ورحمة بعباده.

ولكن الحسن يدعو إلىٰ الأمر الأَوْلىٰ فيقول:

«ابن آدم، ترك الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة..»

وبهذا يحاول بيان الطريق الأسلم والأقرب..

٧ ـ الإسراف وفضول الأموال:

وتأخذ القضية الاقتصادية جانباً من اهتمامه، ففضول الأموال ـ كما يراها ـ ليست للتنعم، وإنما لسد حاجة الآخرين، فيقول:

«رحم الله رجلاً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره، وجِّهوا هذه الفضول حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر..».

٨ ـ البعد عن السلطان:

وينصح الحسن بالبعد عن الحكام، فالقرب منهم محل للنفاق، وركون إلىٰ الظلم، ولذا ينصح بالبعد عنهم فيقول:

«ولا تدخل علىٰ سلطان، ولو قلتَ: آمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر».

وينكر علىٰ الذين يدعون للظلمة فيقول: من دعا لظالم بالبقاء؛ فقد أحب أن يعصىٰ الله في أرضه.

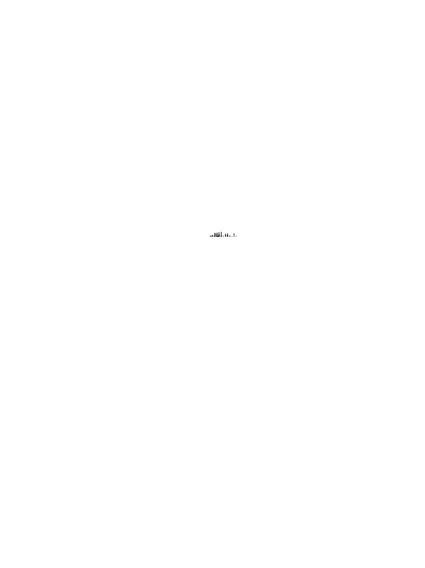
٩ ـ محاسبة النفس:

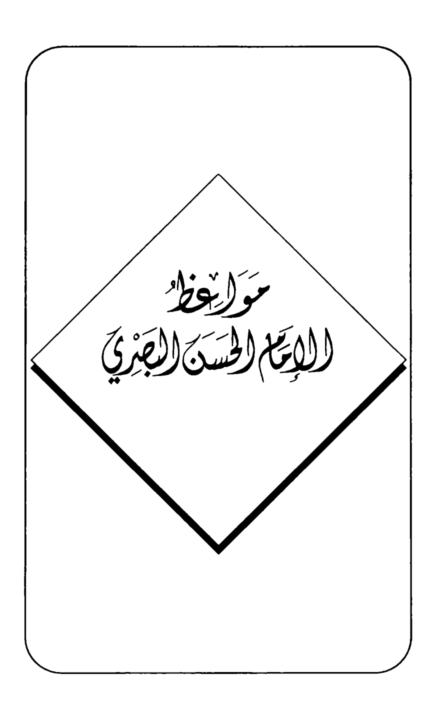
وهو محور عظيم دارت حوله مواعظ كثيرة للحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو ينصح ابن آدم أن يشتغل بالنظر بعيوب نفسه.. وسوف يكون له في ذلك عمل لا يدع له وقتاً للنظر إلىٰ عيوب الناس، أو الكلام في غيبتهم.

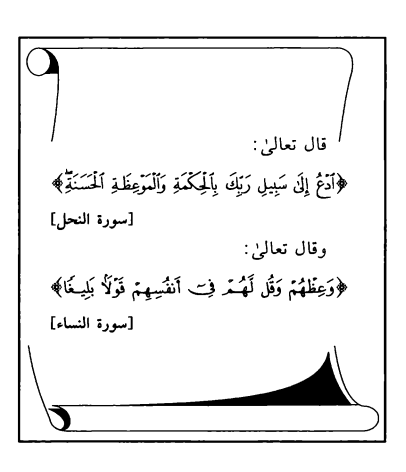
١٠ ـ ذكر الموت:

وهو الأمر الذي لا بد منه لكل إنسان، ومع ذلك فإن كثيراً من الناس غافلون عنه، وهم دائماً بحاجة إلىٰ من يذكّرهم به، ولهذا تنوعت كلماته في هذا الموضوع وجاءت بأساليب متعددة..

تلك هي بعض الخطوط العريضة التي اندرجت تحتها مواعظ الحسن، لتنتهي جميعاً إلىٰ غاية واحدة، وهي توحيد الله تعالىٰ ومحبته. وبهذا تكون السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة.




مواعظ
الإمام الحسن البصري



قال تعالىٰ:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾

[سورة النحل]

وقال تعالىٰ:

﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾

[سورة النساء]

الأسوة الحسنة

قال الحسن:

إن الله تعالىٰ بعث محمداً ﷺ علىٰ علم منه: اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه، وكان صفوتَه من خلقه، ورسولَه إلىٰ عباده.

ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منه قوتاً وبُلْغَةً[1]، ثم قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فرغب أقوام عن عيشه، وسخطوا ما رضي له ربه، فأبعدهم الله وأسحقهم[2].

صفة عيش النبي ﷺ

قال الحسن:

لما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ، يعرفون

---

(١) البلغة: ما يتبلغ به من العيش، أي: الشيء القليل.

(٢) «البيان والتبيين» للجاحظ، ٣/ ١٣٢.

وجهه، ويعرفون نسبه، قال: هذا نبيٌّ، هذا خياري[1]، خذوا من سنته وسبيله.

أما والله! ما كان يُغدىٰ عليه بالجفان[2] ولا يراح، ولا يغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجبة.

كان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف خلفه، وكان يلعق يده[3].

الصحابة رضي الله عنهم

قال الحسن يصف الصحابة ﷺ:

أدركت صدر هذه الأمة وخيارها، وطال عمري فيهم، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله أزهدَ منكم فيما حرم الله عليكم.

أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنة

---

(١) أي: هذا ما اخترته لكم.
(٢) الجفان: جمع جفنة، وهي: قصعة الطعام.
(٣) «حلية الأولياء» للأصبهاني، ٢/١٥٣.

نبيهم. ما طوىٰ أحدهم ثوباً[1]، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر أهله بصنع طعام.

كان أحدهم يدخل منزله، فإذا قُرِّبَ إليه شيء أكل، وإلا سكت فلا يتكلم في ذلك[2].

فضول الأموال

قال الحسن:

رحم الله امرأً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً.

وجِّهوا هذه الفضول[3] حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر الله، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم، ويؤثرون بالفضل.

ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها، فلا والله ما وجد ذو لبٍ فيها فرحاً، فإياكم وهذه السبل المتفرقة، التي جماعها الضلالة، وميعادها النار.

---

(١) أي: ليس له ثوب آخر حتىٰ يطويه.
(٢) «البداية» ٩/٢٧٢، أي: أنّ أمر الطعام لم يكن يشغل حيزاً من اهتماماتهم.
(٣) أي: ما زاد عن حاجة الإنسان من كل شيء.

أدركت من صدر هذه الأمة قوماً، كانوا إذا أجنَّهم الليل[1] فقيام على أطرافهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة سرَّتهم، وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءتهم، وسألوا الله أن يغفرها لهم.

يا ابن آدم، إن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس هاهنا شيء يغنيك، وإن كان يغنيك ما يكفيك، فالقليل من الدنيا يغنيك.

يا ابن آدم، لا تعمل شيئاً من الحق رياء، ولا تتركه حياء[2].

صفة أصحاب النبي ﷺ

قيل للحسن: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ.

فبكى الحسن، ثم قال:

---

(١) أي: سترهم الليل بظلامه.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٥.

ظهرت منهم علامات الخير في السيماء[1] والسمت[2]، والهدىٰ والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالىٰ، واستقادتهم[3] للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم.

ظمئت هواجرهم[4]، ونحلت أجسامهم.

واستخفوا بسخط المخلوقين رضىٰ الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالىٰ في القرآن.

شغلوا الألسن بالذكر.

بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين.

---

(١) السيماء: العلامة.
(٢) السمت: هيئة أهل الخير.
(٣) أي: انقيادهم.
(٤) هواجرهم: ج هاجرة، وهي نصف النهار، والمراد أنهم صاموا فأصابهم الظمأ بسبب ذلك عند شدة الحر.

حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلىٰ آخرتهم[1].

النجاة النجاة

قال الحسن:

من رأىٰ محمداً ﷺ، فقد رآه غادياً رائحاً، لم يضع لَبِنة علىٰ لَبِنة، ولا قصبة علىٰ قصبة، رُفِعَ له علم فَشَمَّرَ له.

النجا النجا، ثم الوحا الوحا[2]، علامَ تعرجون؟ وقد أُسْرِعَ بخياركم، وذهب نبيكم ﷺ، وأنتم كلَّ يوم تَرذُلون[3]، العيان العيان[4].

حقيقة العمر

قال الحسن:

يا ابن آدم، نهارك ضيفك، فأحسن إليه، فإنك

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٥٠، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٦.

(٢) أي: الإسراع والعجلة.

(٣) الرذل: هو الردي، من كل شيء.

(٤) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٢، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٨.

إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أنت أسأت إليه ارتحل بذمِّك، وكذلك ليلك[1].

وقال:

ابن آدم، طأ الأرض بقدمك، فإنها عما قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك، منذ سقطت من بطن أمك[2].

وقال:

ابن آدم، أصبحت بين مطيتين، لا يعرجان بك ـ خطر الليل والنهار ـ حتىٰ تقدم الآخرة، فإما إلىٰ الجنة، وإما إلىٰ النار، فمن أعظم خطراً منك؟![3].

وقال:

ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك[4].

---

(١) «البيان» ٣/ ١٦٤.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«البيان» ٣/ ١٣٣، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٤٠.

(٣) «الحلية» ٢/ ١٥٢.

(٤) «الحلية» ٢/ ١٤٨، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٤.

الدّين

قال الحسن:

يا ابن آدم، دينَك دينَك[1]، فإنه هو لحمك ودمك، إن يَسْلَمْ لك دينك، يَسْلَمْ لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرىٰ فنعوذ بالله، فإنها نار لا تطفىء، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفد أبداً، ونفس لا تموت[2].

بين جيلين

قال الحسن:

نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع علىٰ بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً.

ويحك يا ابنَ آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إنه من عصىٰ الله فقد حاربه.

والله لقد أدركت سبعين بدرياً، أكثر لباسهم

---

(١) أي: اْلزمْ دينك وحافظ عليه.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٤٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٢.

الصوف، ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

ولقد رأيت أقواماً، كانت الدنيا أهون علىٰ أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم، وما يجد عنده إلا قوتاً، فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه[1].

وقال:

لقد أدركت أقواماً، كانوا أأمر الناس بالمعروف، وآخذهم به، وأنهىٰ الناس عن منكر، وأتركهم له.

ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف، وأبعدهم منه، وأنهىٰ الناس عن المنكر، وأوقعهم فيه. فكيف الحياة مع هؤلاء؟![2].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٣٤.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٩.

وقال:

كان من كان قبلكم، أرق منكم قلوباً، وأصفق ثياباً، وأنتم أرقُّ ثياباً، وأصفق منهم قلوباً[1].

الغرور بالناس

قال الحسن:

رحم الله رجلاً لم يغرَّه كثرة ما يرىٰ من كثرة الناس.

ابنَ آدم، إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، وأنت المعنيُّ، وإياكَ يرادُ[2].

العجب بالنفس

مرَّ شاب عليه بردة بالحسن، فدعاه وقال:

إيه ابنَ آدم، معجب بشبابه، معجب بجماله، معجب بثيابه، كأن القبر قد وارىٰ بدنك، وكأنك قد

---

(١) «البيان» ٣/ ١٧٠.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٩.

لاقيتَ عملك، فداوِ قلبك، فإن حاجةَ الله إلىٰ عباده صلاح قلوبهم[1].

النفاق

قال الحسن:

ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق[2].

وقيل للحسن: إن قوماً يقولون: إنا لا نخاف النفاق. فقال:

والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق، أحب إليّ من تلاع[3] الأرض ذهباً.

وقال:

إن من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، والسر والعلانية، والمدخل والمخرج[4].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٤، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٨.

(٢) «البداية» ٩/ ٢٧٣.

(٣) تلاع: جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض، ومسيل الماء، وما اتسع من فوهة الوادي. والذي في كتاب «قوت القلوب» ١/ ٢٣٤: «لو أني أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس».

(٤) «إحياء علوم الدين» ١/ ١٢٣.

حساب النفس

قال الحسن:

إن المؤمن قوَّام علىٰ نفسه، يحاسب نفسه لله.

وإنما خف الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر علىٰ غير محاسبة.

إن المؤمن يفجؤُه الشيء، يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك.

ويفرط منه الشيء، فيرجع إلىٰ نفسه فيقول: ما أردت إلىٰ هذا؟ ما لي ولهذا؟ والله ما لي عذر بها، ووالله لا أعود لهذا أبداً، إن شاء الله.

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن[١]، وحال بينهم وبين هلكتهم.

إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا، يسعىٰ في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتىٰ يلقىٰ الله عز وجل، يعلم أنه

---

(١) أي: التزموا القرآن، فضبطوا أعمالهم علىٰ ما فيه.

مأخوذ عليه في ذلك كله[1].

النفس اللوامة

قال الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[2] [القيامة].

قال: لا تلقىٰ المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردتِ بكلمة كذا؟ ما أردتِ بأكلة كذا؟ ما أردتِ بمجلس كذا؟

وأما الفاجر فيمضي قُدُماً قدماً، لا يلوم نفسه[3].

واعظ النفس

قال الحسن:

لا يزال العبد بخير، ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته[4].

---

(١) «الحلية» ٢/١٥٧، و«البداية» ٩/٢٧٢، و«تهذيب الحلية» ١/٣٤٠.

(٢) جاءت في الأصل: (فلا أقسم..).

(٣) «البداية» ٩/٢٧٢.

(٤) «البداية» ٩/٢٧٢.

عباد الله

قال الحسن:

إن لله عزَّ وجلَّ عباداً كمن رأىٰ أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأىٰ أهل النار في النار مخلدين، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة. حوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة.

صبروا أياماً قصاراً، تعقب راحة طويلة:

أما الليل فمصافة أقدامهم، تسيل دموعهم علىٰ خدودهم، يجأرون إلىٰ ربهم: ربنا، ربنا.

وأما النهار، فحلماء علماء، بررة أتقياء، كأنهم القداح[١]، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضىٰ، وما بالقوم من مرض، أو: خولطوا[٢]، ولقد خالط القوم من ذِكْرِ الآخرة أمر عظيم[٣].

أهل السنّة

قال الحسن:

---

(١) أي: نحيفة أجسامهم.

(٢) أي: فسدت عقولهم.

(٣) «الحلية» ٢/ ١٥١، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٧.

السنَّة ـ والذي لا إلٰه إلا هو ـ بين الغالي والجافي؛ فاصبروا عليها رحمكم الله.

فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضىٰ، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا علىٰ سنتهم حتىٰ لقوا ربهم، فكذلك كونوا[1].

المسلم

قال الحسن:

من علامات المسلم: قوة دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحبس في رفق[2]، وإعطاء في حق، وقصد في غنىً، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة.

لا ترديه رغبته، ولا يبدره لسانه[3]، ولا يسبقه

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» ص٢٧٦.
(٢) أي: ضبط للنفس في أناة ولين مع أوامر الله.
(٣) أي: يضبط لسانه فلا يسبقه بالكلام فيما لا يريد.

بصره، ولا يغلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفّه حرصه، ولا تقصر به نيته[١].

الإسلام

قال الحسن:

الإسلام وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهة، وأن يُسْلِمَ قلبُكَ لله، وأن يَسْلَمَ منك كل مسلم، وكل ذي عهد[٢].

المؤمن

قال الحسن:

المؤمن من يعلم أنَّ ما قال الله عز وجل كما قال.

والمؤمن أحسن الناس عملاً، وأشد الناس خوفاً، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين[٣]، لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً، يقول: لا أنجو.

---

(١) «البداية» ٩/ ٢٧٠.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٢، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٧.

(٣) أي: يعاين النجاة بعد المرور علىٰ الصراط.

والمنافق يقول: سواد الناس كثير، وسيغفر لي، ولا بأس عليّ، فينسئ العمل، ويتمنىٰ علىٰ الله تعالىٰ[1].

الحض علىٰ العمل

قال الحسن:

يا ابنَ آدم، عملَك عملك، فإنما هو لحمك ودمك، فانظر علىٰ أي حال تلقىٰ عملك.

إن لأهل التقوىٰ علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق. مما يقرب إلىٰ الله عز وجل.

يا ابنَ آدم، إنك ناظر إلىٰ عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرنَّ من الخير شيئاً، وإن هو صغر، فإنك إذا رأيته سرَّك مكانه، ولا تحقرن من الشر شيئاً، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه.

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٣، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٦، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٨.

فرحم الله رجلاً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته.

هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحالتي مآلها[1]، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم. أنتم تسوقون الناس[2]، والساعة تسوقكم، وقد أُسْرِعَ بخياركم، فما تنتظرون؟ المعاينة؟ فكأن قد.

إنه لا كتاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيكم.

يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبيعنَّ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً[3].

وصدّقه العمل

قال الحسن:

ليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وقر في الصدر، وصدقته الأعمال[4].

---

(١) لعل المقصود حالتي الرخاء والشدة، وفي «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٢: بحاليها.

(٢) الذي في «البيان والتبيين»: تسوفون.

(٣) «الحلية» ٢/ ١٤٣، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٢٩.

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» ص٣٣٩، و«البيان والتبيين» ٣/ ١٤٤.

ميدان المنافسة

قال الحسن:

يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في هلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم.

قد رأينا أقواماً آثروا عاجلتهم علىٰ عاقبتهم؛ فذلوا وهلكوا وافتضحوا.

يا ابن آدم، إنما الحكم حكمان: فمن حكم بحكم الله فإمام عادل، ومن حكم بغير حكم الله، فحكم الجاهلية.

إنما الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق.

فأما المؤمن، فعاملَ اللَّهَ بطاعته.

وأما الكافر، فقد أذله اللَّهُ كما قد رأيتم.

وأما المنافق، فهاهنا معنا في الحُجَر والطرق والأسواق، نعوذ بالله، والله ما عرفوا ربهم، اعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة.

وإن المؤمن، لا يصبح إلا خائفاً، وإن كان

محسناً، لا يصلحه إلا ذلك، ولا يمسي إلا خائفاً، وإن كان محسناً، لأنه بين مخافتين:

بين ذنب قد مضىٰ لا يدري ماذا يصنع الله تعالىٰ فيه.

وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من الهلكات.

إن المؤمنين شهود الله في الأرض، يعرضون أعمال بني آدم علىٰ كتاب الله، فمن وافق كتاب الله حمدَ الله عليه، وما خالف كتاب الله، عرفوا أنه مخالف لكتاب الله، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل عن الحق[1].

وقال:

من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك، فألقها في نحره[2].

وقال:

---

(١) «الحلية» ٢/١٥٧، و«تهذيب الحلية» ١/٣٤٠.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٣/٢٠٧.

إذا رأيت الناس يتنافسون في الدنيا، فنافسهم في الآخرة، فإنها تذهب دنياهم، وتبقىٰ الآخرة[1].

الاشتغال بعيوب النفس

قال الحسن:

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتىٰ لا يعيب الناس بعيب هو فيه. ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتىٰ يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنه إذا فعل ذلك؛ لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر، ينبغي له أن يصلحه، فإذا فعل ذلك، شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره[2].

عرض العمل علىٰ كتاب الله

قال الحسن:

رحم الله امرأً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه، وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه اعتقب وأناب، ورجع من قريب.

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد، ص٣٤٥.

(٢) «البيان» ٣/ ١٣٥.

رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله، فقال: يا أهلي، صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم. فإن الله تبارك وتعالىٰ أثنىٰ علىٰ عبد من عباده[1] فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم].

يا ابن آدم، كيف تكون مسلماً، ولم يَسْلَمْ منك جارك؟ وكيف تكون مؤمناً، ولم يأمنك الناس؟[2].

نصحَ وأوجز

كتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز:

أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإن طول البقاء إلىٰ فناء ما هو، فخذ من فنائك الذي لا يبقىٰ، إلىٰ بقائك الذي لا يفنىٰ والسلام.

فلما قرأ عمر الكتاب بكىٰ، وقال: نصح أبو سعيد وأوجز[3].

---

(١) هو إسماعيل عليه السلام.
(٢) «البيان» ٣/ ١٣٤.
(٣) «حلية الأولياء» ٥/ ٣١٧.

الحرص

قال الحسن:

يا ابن آدم، سرطاً سرطاً، جمعاً جمعاً في وعاء، وشداً شداً في وكاء. ركوبَ الذلول، ولبوسَ اللين. ثم قيل: مات، فأفضىٰ والله إلىٰ الآخرة.

إن المؤمن عمل لله أياماً يسيرة. فوالله ما ندم أن يكون أصاب من نعيمها ورخائها. ولكن راقت الدنيا له، فاستهانها وهضمها[1] لآخرته، وتزود منها.

فلم تكن الدنيا في نفسه بدار، ولم يرغب في نعيمها، ولم يفرح برخائها، ولم يتعاظم في نفسه شيء من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند الله، ولم يحتسب نوال الدنيا، حتىٰ مضىٰ راغباً راهباً، فهنيئاً هنيئاً. فأَمَّن الله بذلك روعته، وستر عورته، ويسر حسابه[2].

---

(١) أي: ظلمها.

(٢) «الحلية» ٢/١٤٦، و«تهذيب الحلية» ١/٣٣٢.

﴿ألهاكم التكاثر﴾

كان الحسن إذا قرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر] قال: عمَّ ألهاكم؟! ألهاكم عن دار الخلود، وجنة لا تبيد.

هذا ـ والله ـ فضح القوم، وهتك الستر، أبدىٰ العوار[1]، تنفق مثل ديتك[2] في شهواتك سرفاً، وتمنع حق الله درهماً. ستعلم يا لكع[3]!!

الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق.

فأما المؤمن، فقد ألجمه الخوف، ووقمه[4] ذكر العرض.

وأما الكافر، فقد وقمه السيف، وشرده الخوف، فأذعن بالجزية، وأسمح بالضريبة.

وأما المنافق، ففي الحجرات والطرقات،

---

(١) العوار: العيب، والإشارة في قوله: هذا.. إشارة إلىٰ الاشتغال بالتكاثر.

(٢) أي: المال الكثير.

(٣) اللكع: اللئيم والأحمق.

(٤) وقمه: أي رده أشد الرد.

يُسرُّون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة، ويلك! قتلت وليَّه، ثم تتمنىٰ عليه جنته[١].

المال

قال فرقد: دخلنا علىٰ الحسن فقلنا: يا أبا سعيد، ألا يعجبك من محمد بن الأهتم؟

قال: ما له؟

قلنا: دخلنا عليه آنفاً، وهو يجود بنفسه، فقال: انظروا إلىٰ ذاك الصندوق، فيه ثمانون ألف دينار ـ أو قال: درهم ـ لم أؤد منها زكاة، ولم أصل منها رحماً، ولم يأكل منها محتاج، فقلنا: يا أبا عبد الله، فلمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزمان، ومكاثرة الأقران، وجفوة السلطان.

فقال الحسن:

انظروا من أين أتاه شيطانه، فخوفه روعة زمانه، ومكاثرة أقرانه، وجفوة سلطانه.

---

(١) «البيان» ٣/ ١٣٤.

ثم قال: أيها الوارث، لا تخدعنَّ كما خدع صويحبك بالأمس، جاءك هذا المال، لم تتعب لك فيه يمين، ولم يعرق لك فيه جبين، جاءك ممن كان له جموعاً منوعاً، من باطل جمعه، من حق منعه.

ثم قال الحسن: إن يوم القيامة لذو حسرات، الرجل يجمع المال، ثم يموت ويدعه لغيره، فيرزقه الله فيه الصلاح والإنفاق في وجوه البر، فيجد ماله في ميزان غيره[1].

تهنئة بمولود

قال رجل في مجلس الحسن: ليهْنئك الفارس.

قال له الحسن: فلعله حامر[2]؟!

إذا وهب الله لرجل ولداً فقل: شكرتَ الواهب. وبورك لك في الموهوب، وبلغَ أشده، ورزقت برَّه[3].

---

(١) «البداية» ٩/٢٧٣، و«الحلية» ٢/١٤٤ برواية قريبة.
(٢) الحامر: ذو الحمار، كما يقال: فارس لذي الفرس.
(٣) «البيان والتبيين» ٣/٢٨٤.

الدرهم والدينار

قال هشام بن حسان: سمعت الحسن يحلف بالله: ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

وقال الحسن:

بئس الرفيقان: الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتىٰ يفارقاك[١].

الاكتفاء بالقليل

قال الحسن:

رحم الله رجلاً لبس خَلْقاً، وأكل كسرة، ولصق بالأرض، وبكىٰ علىٰ الخطيئة، ودأب في العبادة[٢].

الغنى والفقر

قال الحسن:

لو شاء الله عز وجل لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم، ولكن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/٥٧٦.

(٢) «الحلية» ٢/١٤٩، و«تهذيب الحلية» ١/٣٣٤.

ابتلىٰ بعضكم ببعض لينظر كيف تعملون، ثم دل عباده علىٰ مكارم الأخلاق فقال جل جلاله:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

وقال:

كنا نعد البخيل منا الذي يقرض أخاه الدرهم، إذ كنا نعامل بالمشاركة والإيثار، والله لقد كان أحد من رأيت، وصحبت، يشق إزاره فيؤثر أخاه بنصفه، ويبقىٰ له ما بقي.

ولقد كان الرجل ممن كان قبلكم يصوم، فإذا كان عند فطره، مرَّ علىٰ بعض إخوانه فيقول: إني صمت هذا اليوم لله، وأردت إن تَقَبَّله الله مني أن يكون لك فيه حظ، فهلم شيئاً من عشائك، فيأتيه الآخر ما تيسر من ماء وتمر يفطر عليه، يبتغي أن يكسبه أجراً، وإن كان غنياً عن الذي عنده[١].

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٣٥.

الصدقة

قال الحسن:

من أيقن بالخلف جاد بالعطية[1].

الحرص

قال الحسن:

ما أُعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له: خذه ومثله من الحرص[2].

كره الموت

قال رجل للحسن: إني أكره الموت.

فقال الحسن: ذاك أنك أخرت مالك، ولو قدمته لسرَّك أن تلحق به[3].

إذا عظّم الأبرار الفجارَ

قال الحسن:

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٣.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٦.

(٣) «البيان والتبيين» ١/ ٢٦٤.

لا تزال هذه الأمة بخير، ولا تزال في كنف الله وستره، وتحت جناح ظلِّه، ما لم يرفق خيارهم بشرارهم[1]، ويعظم أبرارُهم فجارَهم، ويميل قراؤهم إلىٰ أمرائهم.

فإذا فعلوا ذلك، رفعت يد الله عنهم، وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب، ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ، وقذف في قلوبهم الرعب[2].

جمع العلم

قال الحسن:

لا تكن ممن يجمع علم العلماء، وطرائف الحكماء، ويجري في العمل مجرىٰ السفهاء[3].

الاستعانة بالأشراف

كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الحسن:

---

(١) أي: ما لم يظهر خيارهم الليونة والبشاشة للأشرار، ويسكتون علىٰ مساويهم.

(٢) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٥٥.

(٣) «إحياء علوم الدين» ١/ ٥٩.

أما بعد: فأشر عليَّ بأقوامٍ أستعين بهم على أمر الله تعالى.

فكتب إليه:

أما أهل الدِّين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنِّسوه بالخيانة[1].

الابتلاء بالغنى والفقر

قال الحسن:

لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولكنه ابتلى بعضكم ببعض[2].

الذكر نوعان

قال الحسن: الذكر ذكران:

ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل، ما أحسنه وأعظم أجره.

---

(١) «إحياء علوم الدين» ١/٦٩.

(٢) «إحياء علوم الدين» ١/٢٢٦.

وأفضل من ذلك: ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل[1].

قيام الليل

قال الحسن:

ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل، ونفقة هذا المال[2].

اختيار الخاطب

قال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة، فمن أزوجها؟

قال: ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها[3].

الغيرة

قال الحسن:

---

(١) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٩٥.
(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٣٥٥.
(٣) «إحياء علوم الدين» ٢/ ٤١.

أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق؟ قبح الله من لا يغار[١].

حفظ اللسان

قال الحسن:

ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

وقال:

من كثر كلامه كثر كذبه[٢].

إفشاء السر

قال الحسن:

إن من الخيانة أن تحدث بسرِّ أخيك[٣].

ذكر الغير

قال الحسن:

ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك. وكل في كتاب الله عز وجل:

---

(١) «إحياء علوم الدين» ٢/ ٤٦.
(٢) «إحياء علوم الدين» ٣/ ١١٢، ١١٥.
(٣) «إحياء علوم الدين» ٣/ ١٣٢.

فالغيبة: أن تقول ما فيه.

والبهتان: أن تقول ما ليس فيه.

والإفك: أن تقول ما بلغك[1].

النمام

قال الحسن:

من نمَّ لك، نمَّ عليك[2].

راحوا خفافاً

قال الحسن:

رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة، فأدوها إلىٰ من ٱئتمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً[3].

الرجاء والغرور

قيل للحسن: قوم يقولون: نرجو الله ويضيعون العمل؟

---

(١) «إحياء علوم الدين» ٣/ ١٤٤.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٣/ ١٥٦.

(٣) «إحياء علوم الدين» ٣/ ٢٠٧.

فقال: هيهات، هيهات!؟ تلك أمانيهم يترجون بها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه[1].

التفكر والعبادة

قال الحسن:

تفكر ساعة، خير من قيام ليلة.

وقال:

من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو[2].

السهو والأمل

قال الحسن:

السهو والأمل نعمتان عظيمتان علىٰ بني آدم، ولولاهما ما مشىٰ المسلمون في الطرق[3].

---

(١) «إحياء علوم الدين» ٣/ ٣٨٥.
(٢) «إحياء علوم الدين» ٤/ ٤٢٤.
(٣) «إحياء علوم الدين» ٤/ ٤٥٤.

الصبر جرعتان

قال الحسن:

ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب، وجرعة صبر عند المصيبة[1].

الدنيا أنفاس

قال الحسن:

المبادرة المبادرة!! فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلىٰ الله عز وجل. رحم الله امرأً نظر إلىٰ نفسه، وبكىٰ علىٰ عدد ذنوبه.

ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم] يعني: الأنفاس.

آخر العدد خروج نفسك.

آخر العدد فراق أهلك.

آخر العدد دخولك في قبرك[2].

---

(١) «الاستقامة» ٢/ ٢٧٢.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٤/ ٤٦٠.

يومْ اللقاء

قال الحسن:

ليس للمؤمن راحة إلا في لقاء الله عز وجل، ومن كانت راحته في لقاء الله عز وجل فقد فاز، فيوم الموت يوم سروره وفرحه، وأمنه وعزه وشرفه[1].

عندما تحيا القلوب

قال الحسن:

ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر علىٰ التفكر، وبالتفكر علىٰ التذكر، ويناطقون القلوب حتىٰ نطقت، فإذا لها أسماع وأبصار، فنطقت بالعلم وأُورثت الحكمة[2].

شوق العابدين

قال الحسن:

---

(١) «الرعاية لحقوق الله» للمحاسبي، ص١٤٦.

(٢) «الاستقامة» لابن تيمية ١/ ٢١٠، والمعنىٰ: أنهم بين الذكر والتفكر.

لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة، لذابت نفوسهم في الدنيا شوقاً إليه[١].

راحة المؤمن

قال الحسن:

إن الله تعالىٰ لم يجعل للمؤمن راحة دون الجنة[٢].

أبكاهم الخوف

قال الحسن:

والله ما تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة[٣]، حين أبكاهم الخوف من الله تعالىٰ[٤].

---

(١) «الاستقامة» لابن تيمية، ٢/١٠٠.

(٢) «رسالة المسترشدين» للمحاسبي، تحقيق أبي غدة، ص٨٠.

(٣) أي: أن العبادات الكثيرة التي تقربوا بها إلىٰ الله تعالىٰ لم تعظم في أنفسهم، ولم يروها لدخول الجنة بدليل بكائهم خوفاً.

(٤) «حلية الأولياء» ٢/١٥٣.

رزق يوم بيوم

قال الحسن:

وايم الله، ما من عبد قُسِمَ له رزق يوم بيوم، فلم يعلم أنه قد خِيرَ له[1]، إلا عاجز أو غبي الرأي[2].

عبادة الأصنام

قال الحسن:

والله، لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم للرحمن تعالىٰ، بحبهم الدنيا[3].

من دار إلىٰ دار

قال الحسن:

إنا والله ما خلقنا للفناء، وإنما ننقل من دار إلىٰ دار[4].

---

(١) أي: أن الله تعالىٰ اختار له ما فيه الخير، فهكذا كان رزق النبي ﷺ.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ١٥٧، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٤٠.

(٣) «حلية الأولياء» ٢/ ١٥٦.

(٤) «البيان والتبيين» ٣/ ١٦٧.

العلم في الصغر

قال الحسن:

طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر، وطلب العلم في الكبر كالنقش على الماء[1].

العلم والثروة

قيل للحسن:

الحرفة[2] في أهل العلم، ولغيرهم الثروة؟

فقال: إنك طلبت قليلاً في قليل، فأعجزك، طلبت المال وهو قليل في الناس، في أهل العلم وهم قليل في الناس[3].

---

(١) «عيون الأخبار» ٢/ ١٢٣.

(٢) الحرفة: يقال: حرف لعياله: أي كسب. والمراد: بذل الجهد والعمل.

(٣) «عيون الأخبار» ٢/ ١٢٤. والمراد بقول القائل؛ أن العلماء يبذلون الجهد الكبير ولا مال لهم، فأجابه: بأن العلماء في الناس قلة، والمال بأيدي الناس قليل، فوجود عالم بيده مال يعني اجتماع أمرين قلما يجتمعان. وفي مثل هذا قال الشاعر:

رضينا قسمة الجبار فينا
لنا علم وللجهال مال

ليس به عي

قال الحسن:

لقد أدركت أقواماً، إن كان الرجل منهم ليجلس مع القوم، فيرون أنه عيي[1]، وما به من عي، إنه لفقيه مسلم[2].

اتركه غائباً

جزع رجل علىٰ ابن له، فشكا ذلك إلىٰ الحسن، فقال له:

هل كان ابنك يغيب عنك؟

قال: نعم، كان مغيبه عني أكثر من حضوره.

قال: فاتركه غائباً، فإنه لم يغب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة[3].

طاعة الله أولىٰ

عن علقمة بن مرثد قال: لما ولي عمر بن هبيرة

---

(١) عيي: أي عاجز عن الإفصاح عما يريد.

(٢) «الزهد» للإمام وكيع، ١/٣٠٧.

(٣) «عيون الأخبار» ٣/٢٢٩.

العراق، أرسل إلىٰ الحسن، وإلىٰ الشعبي[١]... ثم دخل عليهما معظماً لهما، وقال:

إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، ينفذ كتباً، أعرف أن في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله، وإن عصيته أطعت الله عز وجل، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟

فقال الحسن: يا أبا عمرو، أجب الأمير.

فتكلم الشعبي: فانحط في حبل[٢] ابن هبيرة.

فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟

فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت.

قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟

---

(١) عامر بن شراحيل، أبو عمرو، التابعي الوسط، ولد لست مضين من خلافة عمر. وقال: أدركت خمسمائة صحابي. قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بالكوفة سنة ثلاث ومائة.

(٢) الحبل: العهد والذمة والأمان.. والمراد: أنه تكلم بما يريده ابن هبيرة.

فقال: أقول يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك مَلَك من ملائكة الله تعالىٰ، فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرْجك من سعة قصرك إلىٰ ضيق قبرك.

يا عمر بن هبيرة، إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل.

يا عمر بن هبيرة، لا تأمن أن ينظر الله إليك علىٰ أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة، لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة، كانوا ـ والله ـ علىٰ الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة.

يا عمر بن هبيرة، إني أخوفك مقاماً خوفكه الله تعالىٰ فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم].

يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله تعالىٰ في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وأن تك مع

يزيد بن عبد الملك علىٰ معاصي الله، وكلك الله إليه.

قال: فبكىٰ عمر، وقام بعبرته.

فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، وكثر منه ما للحسن، وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار.

فخرج الشعبي إلىٰ المسجد فقال: أيها الناس، من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالىٰ علىٰ خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه[1].

وصية

كتب الحسن إلىٰ فرقد يوصيه:

أما بعد:

فإني أوصيك بتقوىٰ الله، والعمل بما علمك الله، والاستعداد لما وعد الله، مما لا حيلة لأحد في دفعه، ولا ينفع الندم عند نزوله.

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/١٤٩، و«تهذيب الحلية» ١/٣٣٤ ـ ٣٣٦.

فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الجاهلين، وشمر الساق فإن الدنيا ميدان مسابقة، والغاية الجنة أو النار، فإن لي ولك من الله مقاماً يسألني وإياك فيه عن الحقير والدقيق، والجليل والخافي، ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك عنه: وساوس الصدر، ولحظ العيون، وإصغاء الأسماع، وما أعجز عنه[1].

القول بالرأي

قال الحسن:

إنما هلك من كان قبلكم، حين تشعبت بهم السبل، وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم، فضلوا وأضلوا[2].

الشدة تظهر معادن الناس

قال الحسن:

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٩.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» ٢/ ١٦٨.

الناس في العافية سواء، فإذا نزل البلاء تبيَّن عنده الرجال.

وفي رواية: فإذا نزل البلاء، تبيَّن من يعبد الله وغيره.

وفي رواية: فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلىٰ إيمانه، والمنافق إلىٰ نفاقه[١].

وقال:

وقد والله رأيناهم يتعاونون في العافية، فإذا نزل البلاء تفارقوا[٢].

الغربة

قال الحسن:

المؤمن في الدنيا كالغريب، لا ينافس في عزِّها، ولا يجزع من ذلها، للناس حال وله حال، الناس منه في راحة، ونفسه منه في شغل[٣].

---

(١)(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٠.

(٣) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٢.

الرضا

قال الحسن:

الرضا صعب شديد، وإنما معوَّل المؤمن الصبر[1].

مع من أحب

قال الحسن:

ابن آدم، لا يغرنك أن تقول: المرء مع من أحب، فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم، وإن اليهود والنصارىٰ ليحبون أنبياءهم، لا والله ما يحشرون معهم، ولا يدخلون في زمرتهم، وإنهم لحصب جهنم لها واردون[2].

الخوف والأمن

قال رجل للحسن: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتىٰ تكاد قلوبنا تطير؟

فقال الحسن: والله لأن تصحب أقواماً

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٢.

(٢) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٥٥.

يخوفونك حتىٰ يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتىٰ يلحقك الخوف[1].

طريق الأمن

قال الحسن:

من جعل الحمد علىٰ النعم حصناً وحابساً، وجعل أداء الزكاة علىٰ المال سياجاً وحارساً، وجعل العلم له دليلاً وسائساً، أمن العطب، وبلغ أعلىٰ الرتب.

ومن كان للمال قانصاً، وله عن الحقوق حابساً، وشغله وألهاه عن طاعة الله، كان لنفسه ظالماً، ولقلبه بما جنت يداه كالماً، وسلط الله علىٰ ماله سالباً وخالساً، ولم يأمن العطب من سائر وجوه الطلب[2].

الإيمان

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، ما الإيمان؟

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٠، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٦.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٢.

قال: الصبر والسماحة.

فقال الرجل: يا أبا سعيد، فما الصبر والسماحة؟

قال: الصبر عن معصية الله، والسماحة بأداء فرائض الله عز وجل[1].

الظلم العظيم

قال الحسن:

بلغنا أن الله تعالىٰ يقول: يا ابن آدم، خلقتك وتعبد غيري، وأذكرك وتنساني، وأدعوك وتفرُّ مني، إن هذا لأظلم ظلم في الأرض.

ثم تلا الحسن: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان][2].

يوم القيامة

عن حميد قال: بينما الحسن في يوم من رجب

---

(١) «الحلية» ٢/١٥٦.

(٢) «الحلية» ٢/١٤٨.

في المسجد، وهو يمص ماء ويمجه، تنفس تنفساً شديداً، ثم بكىٰ حتىٰ ارتعدت منكباه، ثم قال:

لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً، لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخَّض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه من عورة بادية، ولا عين باكية، من يوم القيامة[1].

بنيان الدنيا

قال الحسن:

لا تخالفوا الله عن أمره، فإن خلافاً عن أمره عمران دار قضىٰ الله عليها الخراب[2].

الرجاء والخوف

قال الحسن:

الرجاء والخوف مطيتا المؤمن[3].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٤٤، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٠.
(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٤٠.
(٣) «الحلية» ٢/ ١٥٦.

اليقين والعافية

قال الحسن:

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لم يؤت الناس في الدنيا خيراً من اليقين والعافية، فاسألوهما الله عز وجل)[١].

ثم قال الحسن: صدق رسول الله ﷺ:

باليقين طلبت الجنة.

وباليقين هُرِبَ من النار.

وباليقين صُبِرَ علىٰ المكروه.

وباليقين أُدِّيت الفرائض. وفي المعافاة خير كثير[٢].

اليقين

قال الحسن:

ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٣٥٥٨ بلفظ: (اسألوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية).

(٢) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٦٠.

وذبل، واستقام واقتصد، حتىٰ يأتيه الموت.

وقال:

يا ابن آدم، إن من ضعف يقينك، أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل[١].

القدر

قال الحسن:

يا ابن آدم، لا ترضِ أحداً بسخط الله، ولا تطيعنَّ أحداً في معصية الله، ولا تحمدنَّ أحداً علىٰ فضل الله، ولا تلومنَّ أحداً فيما لم يؤتك الله.

إن الله خلق الخلق والخلائق، فمضوا علىٰ ما خلقهم عليه، فمن كان يظن أنه مزداد بحرصه في رزقه، فليزدد بحرصه في عمره، أو يغير لونه، أو يزيد في أركانه، أو بنانه[٢].

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٠،

(٢) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧٥.

الأجل والرزق

قال الحسن:

ابن آدم، إنك لست بسابق أجلك، ولا بمغلوب علىٰ رزقك، ولا بمرزوق ما ليس لك، فلمَ تكدح، وعلامَ تقتل نفسك؟![1].

الخوف

قال الحسن:

من خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس، أخافه الله من كل شيء[2].

القول والعمل

قال الحسن:

إن فضل الفعال علىٰ الكلام مكرمة، وإن فضل الكلام علىٰ الفعال عار[3].

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٧٥.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٦.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٧٠.

الظن والعمل

عن الحسن في قوله عز وجل: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة] قال:

إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل[١].

ما يهمّ المسلم

قال الحسن:

غدا كل امرئ فيما يهمه، ومن همّ بشيء أكثر من ذكره، إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له، ومن آثر دنياه علىٰ آخرته، فلا دنيا له ولا آخرة[٢].

صاحب الدنيا

كان الحسن إذا ذكر صاحب الدنيا يقول:

---

(١) «تهذيب الحلية» ١/ ٣٣١. وجاء في كتاب «قوت القلوب» ١/ ٢٢٥: قال الحسن: إنما عمل الناس علىٰ قدر ظنونهم بربهم، فأما المؤمن، فأحسن بالله الظن وأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٤٤، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٠.

والله ما بقيت له، ولا بقي لها، ولا سلم من تبعتها ولا شرها ولا حسابها.

ولقد أخرج منها في خرق[1].

من يملك نفسه

قال الحسن:

من كانت له أربع خلال حرَّمه الله علىٰ النار، وأعاذه من الشيطان:

من يملك نفسه عند الرغبة، والرهبة، وعند الشهوة، وعند الغضب[2].

الخير كله

قرأ الحسن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ الآية[3].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٤٤، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٠.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٤٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠ وتمامها: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

ثم قال: إن الله جمع لكم الخير كله، والشر كله، في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عز وجل إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه[1].

العطف على الضعفاء

قال الحسن:

أربع من كن فيه ألقىٰ الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته: من رقَّ لوالديه، ورق لمملوكه، وكفل اليتيم، وأعان الضعيف[2].

ترائك الله

قال الحسن:

إن لله ترائك[3] في خلقه، لولا ذلك لم ينتفع

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٨.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٣.

(٣) ترائك: جمع تركة، والمراد أنه تعالىٰ مدَّ الأمل للإنسان، وأخفىٰ عنه الأجل، وجعل في النسيان راحة للإنسان، ورفع عن صاحبه الإثم.

النبيون وأهل الانقطاع إلىٰ الله بشيء من أمر الدنيا، وهي: الأمل، والأجل، والنسيان[1].

وسائل الأشياء

قال الحسن:

التقدير نصف الكسب، والتودد نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم[2].

أحب اللباس

قال رجل للحسن يوماً: يا أبا سعيد، أي اللباس أحب إليك؟

قال: أغلظه وأخشنه، وأوضعه عند الناس.

فقال الرجل: أليس قد روي (إن الله جميل يحب الجمال)[3]؟

فقال: يا ابن أخي، لقد ذهبت إلىٰ غير المذهب، لو كان الجمال عند الله اللباس، لكان

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٧٢.
(٢) «البيان والتبيين» ٢/ ٩٦.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٩١).

الفجار إذاً عنده أوجه من الأبرار، إنما الجمال التقرب إلىٰ الله بعمل الطاعات، ومجانبة المعاصي، ومكارم الأخلاق ومحاسنها، وكذلك ما روي عن رسول الله ﷺ في الصحيح أنه قال: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[(١)(٢)].

لباس الفساق

قال الحسن:

تجد الرجل قد لبس الأحمر والأبيض وقال: هلموا فانظروا إليّ.

قال الحسن:

قد رأيناك يا أفسق الفاسقين، فلا أهلاً بك ولا سهلاً. فأما أهل الدنيا فقد اكتسبوا بنظرهم إليك مزيد حرص علىٰ دنياهم، وجرأة علىٰ شهوات الغنىٰ في بطونهم وظهورهم، وأما أهل الآخرة فقد كرهوك ومقتوك.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» بلفظ: (حسن الأخلاق) باب حسن الخلق، رقم (٨).

(٢) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٦٧.

وقال:

إنهم وإن هملجت بهم البراذين[1]، وزفرت بهم البغال، وَوَطِئَتْ أعقابَهم الرجالُ[2]، إن ذل المعاصي لا يفارق رقابهم، يأبىٰ الله إلا أن يذل من عصاه[3].

الفاسق

قال الحسن:

إن أفسق الفاسقين، الذي يركب كل كبيرة، ويسحب علىٰ ثيابه، ويقول: ليس عليَّ بأس، سيعلم أن الله تعالىٰ، ربما عجل العقوبة في الدنيا، وربما أخرها ليوم الحساب[4].

الأماني والأعمال

روىٰ الطبراني عن الحسن أنه قال:

إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، ورجاء الرحمة،

---

(١) الهملاج: وصف للبرذون، وهو الحسن السير في بخترة.
(٢) أي: سار الرجال خلفهم إعظاماً وإجلالاً.
(٣) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٣.
(٤) «حلية الأولياء» ٢٠/ ١٤٨.

حتىٰ خرجوا من الدنيا، وليست لهم أعمال صالحة، يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله، وأرجو رحمة الله، وكذب.

لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك[1].

العبادة الخالصة

قال الحسن:

كان الرجل يتعبد عشرين سنة ولا يشعر به جاره، وأحدهم يصلي ليلة أو بعض ليلة، فيصبح وقد استطال علىٰ جاره.

وإن كان القوم ليجتمعون فيتذاكرون، فتجيءُ الرجلَ عبرتُه فيردها ما استطاع، فإن غُلِبَ قام عنهم[2].

موت القلوب

قال الحسن:

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/٢٦٨.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/٢٦٨.

إذا شئت لقيت الرجل، أبيضَ[1]، حديد اللسان[2]، حديد البصر، ميت القلب والعمل، أنت أبصر به من نفسه.

ترىٰ أبداناً ولا قلوباً، وتسمع الصوت ولا أنيس. أخصب ألسنة وأجدب قلوباً.

يأكل أحدهم من غير ماله، ويبكي علىٰ عماله[3] فإذا كظته البطنة[4] قال: يا جارية، أو يا غلام، ائتني بهاضم. وهل هضمت يا مسكين إلا دينك؟![5].

الذنب

قال الحسن:

إن العبد المؤمن ليعمل الذنب، فلا يزال به كئيباً، حتىٰ يدخل الجنة[6].

---

(١) أي: أنه جميل المنظر.
(٢) حديد: أي قوي نافذ.
(٣) كذا في الأصل، ولعلها: أعماله. أي: يبكي تقصيره في العبادة، ويأكل أموال الناس.
(٤) أي: امتلأ من الطعام حتىٰ لا يطيق التنفس.
(٥) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧١.
(٦) «الحلية» ٢/ ١٥٨، و«الزهد» للإمام أحمد ٣٢٩، وهذا =

الخطيئة والتوبة

قال الحسن:

ابنَ آدم، تركُ الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة، ما يؤمنك أن تكون أصبت كبيرة أُغلق دونها باب التوبة، فأنت في غير معمل!![1].

جدب القلوب

قال الحسن:

أرىٰ رجالاً ولا أرىٰ عقولاً، أسمع أصواتاً ولا أرىٰ أنيساً، أخصبُ ألسنةً، وأجدب قلوباً[2].

الركون إلى الظلمة

قال الحسن:

خصلتان من العبد إذا صلحتا صلح ما سواهما:

= ما صاغه ابن عطاء الله في حكمه عندما قال: «معصية أورثت ذلاً، وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً».

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/٥٧٨.

(٢) «الحلية» ٢/١٥٨، و«تهذيب الحلية» ١/٣٤١.

الركون إلىٰ الظلمة.

والطغيان في النعمة.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١][١].

الدعاء للظلمة

قال الحسن:

من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصىٰ الله في أرضه[٢].

العيد

قال الحسن في يوم فطر، وقد رأىٰ الناس وهيئاتهم:

---

(١) «الحلية» ٢/١٥٨.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٢/٨٧، قال العراقي: هو من قول الحسن.

إن الله تبارك وتعالىٰ جعل رمضان مضماراً[1] لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلىٰ مرضاته.

فسبق أقوام ففازوا.

وتخلَّف آخرون فخابوا.

فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون.

أما والله! أن لو كشف الغطاء لشُغِل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته، عن ترجيل شعر، وتجديد ثوب[2].

الاستغناء عن الناس

قال الحسن:

لا أذهب إلىٰ من يواري عني غناه، ويبدي لي فقره، ويغلق دوني بابَه، ويمنعني ما عنده، وأدع من يفتح لي بابه، ويبدي لي غناه، ويدعوني إلىٰ ما عنده[3].

---

(١) مضماراً: المضمار ميدان السباق.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٧.

(٣) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٦.

صحبة الناس

قال الحسن:

اصحب الناس بما شئت أن تصحبهم، فإنهم يصحبونك بمثله[١].

الدنيا دار عمل

قال أبو عبيدة سعيد بن رزين: سمعت الحسن يعظ أصحابه يقول:

إن الدنيا دار عمل، من صحبها بالنقص لها، والزهادة فيها، سَعِدَ بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها علىٰ الرغبة فيها، والمحبة لها، شقي بها، وأجحف بحظه من الله عز وجل، ثم أسلمته إلىٰ ما لا صبر له عليه، ولا طاقة له به من عذاب الله.

فأمرها صغير، ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب، والله تعالىٰ ولي ميراثها، وأهلها محوَّلون عنها إلىٰ منازل لا تبلىٰ، ولا يغيرها طول الثواء[٢]، منها يُخْرَجُون.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٤.

(٢) الثواء: ثوىٰ بالمكان: أطال الإقامة به.

فاحذروا ـ ولا قوة إلا بالله ـ ذلك الموطن، وأكثروا ذكر ذلك المنقلب.

واقطع ـ يا ابن آدم ـ من الدنيا أكثر همك، أو لتَقْطَعَنَّ حبالَها بك، فينقطعَ ذكر ما خُلِقْتَ له من نفسك، ويزيغَ عن الحق قلبُك، وتميل إلىٰ الدنيا فترديك، وتلك منازلُ سوءٍ بيِّنٌ ضرها. منقطع نفعها، مفضية ـ والله ـ بأهلها إلىٰ ندامة طويلة، وعذاب شديد.

فلا تكونن ـ يا ابن آدم ـ مغتراً، ولا تأمن ما لم يأتك الأمان منه، فإن الهول الأعظم ومفظعات الأمور أمامك، لم تخلص منها حتىٰ الآن، ولا بدَّ من ذلك المسلك، وحضور تلك الأمور:

إما يعافيك من شرها، وينجيك من أهوالها.

وإما الهلكة، وهي منازل شديدة مخوفة محذورة مفزعة للقلوب.

فلذلك فاعدد، ومن شرها فاهرب، ولا يلهينك المتاع القليل الفاني، ولا تربَّصْ[1] بنفسك، فهي

---

(١) أي: تتربص وتنتظر.

..ريعة الانتقاص من عمرك، فبادر أجلك، ولا تقل:
غداً، غداً، فإنك لا تدري متىٰ إلىٰ الله تصير.

واعلموا: أن الناس أصبحوا جادين في زينة الدنيا، يضربون في كل غمرة[1]، وكل معجب بما هو فيه، راضٍ به حريص علىٰ أن يزداد منه، فما لم يكن من ذلك لله عز وجل، وفي طاعة الله، فقد خسر أهله وضاع سعيه، وما كان من ذلك في الله، وفي طاعة الله، فقد أصابَ أهلُه به وجهَ أمرهم، ووفقوا فيه بحظهم.

عندهم كتاب الله وعهده، وذكر ما مضىٰ، وذكر ما بقي، والخبر عمن وراءهم. كذلك أمر الله اليوم وقبل ذلك، أمره فيمن مضىٰ، لأن حجة الله بالغة، والعذر بارز، وكلّ موافٍ اللهَ ولما عمل.

ثم يكون القضاء من الله في عباده علىٰ أحد أمرين:

فمقضي له رحمته وثوابه، فيا لها نعمة وكرامة.

---

(١) غمرة الشيء: شدته ومزدحمه.

ومقضي له سخطه وعقوبته، فيا لها حسرة وندامة.

ولكن حقٌّ علىٰ من جاءه البيان من الله: بأن هذا أمره، وهو واقع، أن يصغر في عينه ما هو عند الله صغير، وأن يعظم في نفسه ما هو عند الله عظيم.

أوليس ما ذكر الله من الكراهة لأهلها[1] ـ فيما بعد الموت ـ والهوان، ما يطيِّب نفس امرئ عن عيشة دنياه، فإنها قد أذنت بزوال، لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجائعُها، يبلىٰ جديدها، ويسقم صحيحها، ويفتقر غنيها، ميَّالة بأهلها، لعَّابة بهم علىٰ كل حال، ففيها عبرة لمن اعتبر، وبيان فعلامَ تنتظر؟!

يا ابن آدم، أنت اليوم في دار هي لافظتك، وكأن قد بدا لك أمرها، فإلىٰ الصرام ما يكون سريعاً، ثم يُفْضَىٰ بأهلها إلىٰ أشد الأمور وأعظمها خطراً.

فاتق الله يا ابن آدم، وليكن سعيك في دنياك لآخرتك، فإنه ليس لك من دنياك شيء إلا ما صدَّرت

---

(١) لأهلها: أي لأهل الدنيا نسوا الآخرة.

أمامك، فلا تدخرنَّ عن نفسك مالك، ولا تتبع نفسك ما قد علمتَ أنك تاركه خلفك، ولكن تزوَّد لبعد الشقة، وأعدد العدة أيام حياتك، وطول مقامك، قبل أن ينزل بك من قضاء الله ما هو نازل، فيحول دون الذي تريد، فإذا أنت ـ يا ابنْ آدم ـ قد ندمت، حيث لا تغني الندامة عنك.

ارفض الدنيا، ولتسخُ بها نفسك، ودع منها الفضل، فإنك إذا فعلت ذلك أصبت أربح الأثمان من نعيم لا يزول، ونجوت من عذاب شديد ليس لأهله راحة ولا فترة.

فاكدح لما خلقت له قبل أن تَفَرَّق بك الأمور، فيشقّ عليك اجتماعها.

صاحب الدنيا بجسدك، وفارقها بقلبك، ولينفعك ما قد رأيت مما قد سلف بين يديك من العمر، وحال بين أهل الدنيا وبين ما هم فيه، فإنه عن قليل فناؤه، ومخوف وباله.

وليزدك إعجاب أهلها بها زهداً فيها، وحذراً منها، فإن الصالحين كذلك كانوا.

واعلم يا ابن آدم أنك تطلب أمراً عظيماً، لا يقصر فيه إلا المحروم الهالك، فلا تركب الغرور وأنت ترىٰ سبيله، ولا تدع حظك وقد عرض عليك، وأنت مسؤول ومقول لك، فأخلص عملك. وإذا أصبحت فانتظر الموت، وإذا أمسيت فكن علىٰ ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن أنجىٰ الناس، من عمل بما أنزل الله في الرخاء والبلاء، وأمر العباد بطاعة الله وطاعة رسوله.

فإنكم أصبحتم في دار مذمومة، خلقت فتنة، وضُرِبَ لأهلها أجل، إذا انتهوا إليه يبيد، أخرج نباتها، وبث فيها من كل دابة، ثم أخبرهم بالذي هم إليه صائرون. وأمر عباده فيما أخرج لهم من ذلك بطاعته، وبيَّن لهم سبيلها ـ يعني سبيل الطاعة ـ ووعدهم عليها الجنة، وهم في قبضته، ليس منهم بمعجز له، وليس شيء من أعمالهم يخفىٰ عليه، سعيهم فيها شتىٰ، بين عاصٍ ومطيع له، ولكلٍ جزاء من الله بما عمل، ونصيبٌ غير منقوص.

ولم أسمع الله تعالىٰ ـ فيما عهد إلىٰ عباده، وأنزل عليهم في كتابه ـ رغَّبَ في الدنيا أحداً من

خلقه، ولا رضي له بالطمأنينة فيها، ولا الركون إليها، بل صرف الآيات، وضرب الأمثال بالعيب لها، والنهي عنها، ورغَّب في غيرها.

وقد بيَّن لعباده أن الأمر الذي خلقت له الدنيا وأهلها عظيمُ الشأن، هائل المطلع، نقلهم عنه ـ أراه ـ إلىٰ دار لا يشبه ثوابهم ثواباً، ولا عقابهم عقاباً، لكنها دار خلود، يدين[١] الله تعالىٰ فيها العباد بأعمالهم، ثم ينزلهم منازلهم، لا يتغير فيها بؤس عن أهلها ولا نعيم. فرحم الله عبداً طلب الحلالَ جهدَه، حتىٰ إذا دار في يده، وجهه وجهه الذي هو وجهه[٢].

ويحك يا ابن آدم، ما يضرك الذي أصابك من شدائد الدنيا، إذا خلص لك خير الآخرة.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر] هذا فضح القوم[٣].

---

(١) يدين: يحاسب ويجازي.

(٢) أي: يوجه المال الذي كثر في يده الوجهة الصحيحة.. في أعمال البر والطاعات.

(٣) أي: فضحت هذه الآية واقع الناس من انصرافهم إلىٰ الجمع والتكاثر طول حياتهم.

ألهاكم التكاثر عن الجنة، عند[1] دعوة الله وكرامته.

والله لقد صحبنا أقواماً كانوا يقولون: ليس لنا في الدنيا حاجة، ليس لها خلقنا، فطلبوا الجنة بغدوهم ورواحهم وسهرهم ـ نعم، والله ـ حتىٰ أهرقوا فيها دماءهم، ورجوا فأفلحوا ونجوا. هنيئاً لهم، لا يطوي أحدهم ثوباً، ولا يفترشه، ولاتلقاه إلا صائماً ذليلاً متبائساً خائفاً، حتىٰ إذا دخل إلىٰ أهله: إن قرِّبَ إليه شيء أكله، وإلا سكت، لا يسألهم عن شيء، ما هذا وما هذا[2].

الموعظة حجة

حدَّث الحسن بحديث، فقال له رجل: يا أبا سعيد، عمن[3]؟

(١) كذا في الأصل، ولعلها (عن دعوة الله) فتكون بدلاً من (عن الجنة).
(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٢، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩.
(٣) أي: عمن تروي هذا الحديث، أو من هم رجال سنده؟

قال: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته[1].

الغرور بالدنيا

كان الحسن إذا تلا هذه الآية: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان] قال:

من قال: ذا؟ قاله من خلقها، وهو أعلم بها.

وقال الحسن:

(١) «عيون الأخبار» ٢/ ١٣٧.
ويبدو ـ والله أعلم ـ أن الإمام الحسن، كان يفرق بين المجالس، ففي مجالس الفقه والحديث كان يأتي بالأسانيد، كما هو مروي عنه في كتب السنن والتفسير، أما في مجالس الوعظ فربما تساهل في ذلك، لأن غاية الوعظ التأثير في القلوب وهي غير مجالس المدارسة والعلم. وكان يرىٰ أن غاية الوعظ الاتعاظ، ولذا يرىٰ فيها حجة علىٰ السامع طالما أنها تدعو إلىٰ خير أو تنبه علىٰ خطر، وهذا ما يفسر لنا ورود كثير من الأحاديث النبوية في كلامه دون إسنادها، من ذلك قوله: «لا تزول قدما ابن آدم حتىٰ يسأل عن ثلاث...» «البيان والتبيين» ٣/ ١٢٥، فهو جزء من حديث أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٨).

إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل علىٰ نفسه باب شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب[1].

الدنيا دار مخيفة

لما استخلف عمر بن عبد العزيز، كتب إليه الحسن البصري كتاباً بدأ فيه بنفسه[2]:

أما بعد: فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة، من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه، يصبر علىٰ شدة الدواء، خيفة طول البلاء والسلام[3].

الدفاع عن النفس

قال الحسن: ابن آدم عن نفسك فكايس[4]، فإنك إن دخلت النار، لم تجبر بعدها أبداً[5].

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٥٣.

(٢) أي قال: من الحسن إلىٰ عمر..

(٣) «حلية الأولياء» ٢/ ١٤٨، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٤.

(٤) كايس: كايسه: غالبه.

(٥) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٢.

الدنيا سريعة الزوال

كتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز:

أما بعد: فكأنكْ بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل[1].

الحذر من النفس

قال الحسن:

اقدعوا[2] هذه النفوس، فإنها طلعة[3]، واعصوها، فإنكم إن أطعتموها تنزع بكم[4] إلىٰ شر غاية، وحادثوها بالذكر[5]، فإنها سريعة الدثور[6][7].

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٨.

(٢) اقدعوا: انهوا.

(٣) طلعة: أي تتطلع إلىٰ كل شيء.

(٤) تنزع بكم: تميل بكم.

(٥) حادثوا: اجلوا واشحذوا، والمحادثة والتحادث: جلاء السيف.

(٦) الدثور: دثر أثر فلان: إذا ذهب ودرس وعفا.

(٧) «البيان والتبيين» ١/ ٢٩٧.

الصمت

قال الحسن:

إملاء الخير خير من الصمت، والصمت خير من إملاء الشر[1].

الرضا بالباطل

قال الحسن:

قتل الناقة رجل واحد، ولكن الله عمَّ القوم بالعذاب، لأنهم عموه بالرضا[2]

احذر ثلاثة

قال الحسن:

احذر ثلاثة، لا تمكن الشيطان فيها من نفسك:

لا تخلون بامرأة، ولو قلت: أعلمها القرآن.

ولا تدخل علىٰ سلطان، ولو قلت: آمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر.

---

(١) «البيان والتبيين» ٢/ ١١٣.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٠.

ولا تجلس إلىٰ صاحب بدعة، فإنه يمرض قلبك، ويفسد عليك دينك[1].

التواضع الكاذب

قال الحسن:

إن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم، وكبرَهم في صدورهم، حتىٰ لَصَاحبُ المِدْرعة بمدرعته[2]، أشد فرحاً من صاحب المُطرَف[3] بمطرفه[4].

التواضع الحق

سئل الحسن عن التواضع فقال:

هو أن تخرج من بيتك، فلا تلقىٰ أحداً إلا رأيت له الفضل عليك[5].

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٥٤.
(٢) المدرعة: ثوب من الصوف. والمراد: ما دل من الثياب علىٰ الزهد.
(٣) المطرف: رداء من الخز.
(٤) «البيان والتبيين» ٣/ ١٥٣.
(٥) «العقد الفريد» ٢/ ١٧٧.

الحلم

قال الحسن:

المؤمن حليم لا يجهل وإن جُهِلَ عليه، وتلا قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان][1].

الصبر

قال الحسن:

إنكم لا تنالون ما تحبون؛ إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تؤملون؛ إلا بالصبر علىٰ ما تكرهون[2].

وقال:

رحم الله امرأً عرف ثم صبر، ثم أبصر فصبر، فإن أقواماً عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلىٰ ما تركوا.

اتقوا هذه الأهواء المضلة، البعيدة من الله، التي

---

(١) «العقد الفريد» ٢/ ١١٩.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٦٤.

جماعها الضلالة، وميعادها النار، لهم محنة[1]، من أصابها أضلته، ومن أصابته قتلته[2].

أصول الشرّ وفروعه

قال الحسن:

أصول الشر وفروعه ستة:

فالأصول ثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا.

والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر[3].

الحسد

قال الحسن:

ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد: نَفَس دائم، وحزن لازم، وغم لا ينفد[4].

---

(١) أي: الأهواء لهم محنة.
(٢) «الحلية» ٢/١٤٥.
(٣) «العقد الفريد» ٢/١٥١.
(٤) «العقد الفريد» ٢/١٤٨.

الغيبة

قال الحسن:

والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده.

وقال:

ابنَ آدم، إنك لن تصيب حقيقة الإيمان، حتىٰ لا تعيب الناس بعيب هو فيك. وحتىٰ تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك، كان ذلك شغلك في طاعة نفسك[1] وأحب العباد إلىٰ الله من كان هكذا[2].

ثلاثة لا غيبة لهم

قال الحسن:

لا غيبة لثلاثة: فاسق مجاهر بالفسق، وإمام جائر، وصاحب بدعة لم يدع بدعته[3].

---

(١) أي: في طاعة نفسك لله.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧١.

(٣) «العقد الفريد» ٢/ ١٦١.

إطالة الأمل

قال الحسن:

ما أطال عبد الأمل؛ إلا أساء العمل[1].

الدنيا بعدَك

قال الحسن:

إذا سرك أن تنظر إلىٰ الدنيا بعدك، فانظر إليها بعدَ غيرك[2].

الرجال ثلاثة

قال الحسن:

الرجال ثلاثة:

فرجل كالغذاء، لا يستغنىٰ عنه.

ورجل كالدواء، لا يحتاج إليه إلا حيناً بعد حين.

ورجل كالداء، لا يحتاج إليه أبداً[3].

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٤.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٤.

(٣) «العقد الفريد» ٢/ ١٣١،

الموعظة

قال الحسن:

حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوههم[1].

قضاء الحاجات

قال الحسن:

لأن أقضي حاجة لأخ لي، أحب إلي من عبادة سنة[2].

التعارف

قال الحسن:

مجالسة الرجل من غير أن يُسأل عن اسمه واسم أبيه، مجالسة النوكىٰ[3][4].

حزن المؤمن

قال الحسن:

---

(١) «العقد الفريد» ٢/ ٢٣٦.

(٢) «العقد الفريد» ٢/ ١٥٩.

(٣) النوكىٰ: الحمقىٰ.

(٤) «العقد الفريد» ٢/ ٢٣٨.

يحق لمن يعلم أن الموت وردُهُ، وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالىٰ مشهده، أن يطول حزنه.

وقال:

ذهبت المعارف وبقيت المناكر[1]، ومن بقي من المسلمين فهو مغموم.

وقال:

والله ما من الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين ظهرانيكم، إلا أصبح مغموماً، وأمسىٰ مغموماً.

وقال:

إن المؤمن يصبح حزيناً، ويمسي حزيناً، وينقلب باليقين بالحزن، ويكفيه ما يكفي العنيزة: الكف من التمر، والشربة من الماء.

وقال:

---

(١) أي: قلَّ المعروف بقلَّة أهله، وكثرت المنكرات بكثرة فاعليها.

طول الحزن في الدنيا، تلقيح العمل الصالح[1].

وقال:

والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب[2].

وقال:

والله يا ابن آدم، لئن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك[3].

البكاء

قال الحسن:

لو أن باكياً بكىٰ في ملأ من خشية الله، لرحموا جميعاً، وليس شيء من الأعمال إلا له وزن، إلا البكاء من خشية الله، لا يقوِّم الله بالدمعة منه شيئاً.

---

(١) أي: إذا اجتمع العمل الصالح مع الحزن المنبعث من معرفة حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، فذلك الخير.

(٢) يفسر هذا القول، القول الذي بعده.

(٣) «الحلية» ٢/١٣٢ ـ ١٣٣.

وقال:

ما بكىٰ عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب[1].

بكاء الحسن

وقال حمزة الأعمىٰ: كنت أدخل علىٰ الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه، فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء؟!

فقال:

يا بني! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك؟ يا بني، إن البكاء داع إلىٰ الرحمة، فإن استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل، لعله تعالىٰ أن يرحمك، فإذا أنت نجوت من النار[2].

الضحك

قال الحسن:

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٠.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٩.

ضحك المؤمن غفلة من قلبه[1].

وقال:

كثرة الضحك تميت القلب[2].

المرض ذكرىٰ

عاد الحسن عليلاً، فوجده قد شفي من علته، فقال:

أيها الرجل، إن الله قد ذكرك فاذكره، وقد أقالك فاشكره، ثم قال:

إن المرض ضربة سوط من ملك كريم، فإما أن يكون العليل بعد المرض فرساً جواداً، وإما أن يكون حماراً عثوراً معقوراً[3].

الاحتضار

رأىٰ الحسن رجلاً يكيد بنفسه ـ يجود بها عند الاحتضار ـ فقال:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٥.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٢.

(٣) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٨.

إن امرأً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله، وإن امرأً هذا أوله لجدير أن يخاف آخره[1].

نذير الموت

قال الحسن:

إن امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أب ميت، لمعرق[2] في الموت[3].

ليال معدودة

قال الحسن:

تصبروا وتشددوا، فإنما هي ليال تعد، وإنما أنتم ركب وقوف، يوشك أن يدعىٰ أحدكم فيجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما يصبر علىٰ هذا الحق من عرف فضله وعاقبته[4].

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٢٧.
(٢) أي: له في الموت عرق، وأنه أصيل فيه.
(٣) «البيان والتبيين» ٣/ ١٧٢.
(٤) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٢.

الموت

قال الحسن:

الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوىٰ من ورائكم[1].

وقال:

ما رأيت يقيناً لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه إلا لموت.

تلاوة القرآن وحفظه

قال الحسن:

إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان، لا علم لهم بتأويله، لم يأتوا الأمر من قبل أوله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [صٓ].

وما تدبر آياته إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتىٰ إن أحدهم ليقول: قد

(١) «إحياء علوم الدين» ٤/ ٤٥٤.

قرأت القرآن كله، فما أسقطتُ حرفاً واحداً، وقد - والله - أسقطه كله. ما يُرىٰ له القرآن في خلق ولا عمل، حتىٰ إن أحدهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة في نَفَس.

لا والله، ما هؤلاء بالقراء، ولا بالعلماء ولا الحكماء، ولا الورعة، ومتىٰ كانت القراءة هكذا؟ أو يقول مثلَ هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء[1].

حملة القرآن

قال الحسن:

حملة القرآن ثلاثة نفر:

رجل اتخذه بضاعة، ينقله من مصر إلىٰ مصر، يطلب به ما عند الناس.

ورجل حفظ حروفه وضيَّع حدوده، واستدرَّ به الولاة، واستطال به علىٰ أهل بلده، وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن، لا كثَّرهم الله عزّ وجلّ.

ورجل قرأ القرآن، فوضع دواءه علىٰ داء قلبه،

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧٠.

فسهر ليلته، وهملت عيناه، تسربل الخشوع، وارتدىٰ الوقار، واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقي الله الغيث، وينزل النصر، ويدفع البلاء[1].

الغنى بالقرآن

قال الحسن:

والله ما دون القرآن من غنىً، ولا بعده من فاقة[2].

تدبر القرآن

قال الحسن:

إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً، فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار[3].

---

(١) «العقد الفريد» ٢/ ٨٩.
(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٧٤.
(٣) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٧٥.

تلاوة المؤمنين للقرآن

قال الحسن:

والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن، يؤمن به؛ إلا كثر حزنه، وقلَّ فرحه، وكثر بكاؤه، وقلَّ ضحكه، وكثر نصبه وشغله، وقلّت راحته وبطالته[١].

نور العلم

قال الحسن:

الدنيا كلها ظلمة، إلا مجالس العلماء[٢].

جمال العلم

قال الحسن:

لو كان للعلم صورة، لكانت صورته أحسن من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء[٣].

---

(١) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٨٥.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر، ١/ ٦١.

(٣) «شرح حديث العلم» لابن رجب ص٣٣، ٣٥، و«رسالة المسترشدين» ص٩٨.

الفقيه

سأل فرقد السبخي[1] الحسن عن شيء، فأجابه. فقال: إن الفقهاء يخالفونك؟! فقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثكلتك أمك فريقد، وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم علىٰ عبادة ربه، الورع الكافُّ نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم[2].

العلماء

قال الحسن:

إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم من أهل الدنيا، وكانوا يقضون بعلمهم علىٰ أهل الدنيا، ما لا يقضي أهلُ الدنيا بدنياهم فيها.

---

(١) فرقد بن يعقوب السبخي، نسبة إلىٰ السبخة، موضع بالبصرة، وهو الحافظ الزاهد. مات بالبصرة سنة ١٣١هـ.

(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٣٢.

وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم اليوم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم،.فرغب أهل الدنيا عنهم، وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم[1].

العلماء وأبواب الأمراء

خرج الحسن من عند ابن هبيرة[2] فإذا هو بالقراء على الباب، فقال:

ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرَّقوا، فرَّق الله بين أرواحكم وأجسادكم.

قد فرطحتم[3] نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء، فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم

(١) «البيان» ٣/ ١٣٦.

(٢) هو عمر بن هبيرة والي العراق من قبل يزيد بن عبد الملك.

(٣) فرطح الشيء: عرَّضه.

رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد[1].

العالم يحب الدنيا

قال مالك بن دينار للحسن: ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا؟

قال: موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم، ويبقىٰ عليه رسمه[2].

مجالسة العلماء

قال الحسن:

إذا جالست العلماء فكن علىٰ أن تسمع منهم، أحرصَ منك علىٰ أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول، ولا تقطع علىٰ أحد حديثه[3].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٦، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٨.

(٣) «البيان والتبيين» ٢/ ٢٩٠.

لسان العاقل

قال الحسن:

لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت.

وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن همَّ بالكلام تكلَّم به، له أو عليه[1].

العقل

قال الحسن:

ما أودع الله تعالىٰ امرأً عقلاً ما؛ إلا استنقذه به يوماً ما[2].

وقال:

يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً، ويكون عابداً ولا يكون عاقلاً[3].

---

(١) «البيان والتبيين» ١/ ١٧٢.

(٢) «العقد الفريد» ٢/ ٩٥.

(٣) «العقد الفريد» ٢/ ٧٥.

﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾

قال الحسن:

يا ابن آدم، اذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

عَدَلَ والله عليك مَنْ جعلك حسيبَ نفسك.

خذوا صفاء الدنيا، وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدراً، ولا الكدر ما عاد صفواً[١].

دعوا ما يريبكم إلىٰ ما لا يريبكم.

ظهر الجفاء، وقلّت العلماء، وعفت السنة[٢]، وشاعت البدعة.

لقد صحبت أقواماً ما كانت صحبتهم إلا قرةَ العين، وجلاء الصدر.

ولقد رأيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من

---

(١) أي: أنه ينظر إلىٰ الأمور بخواتيمها.

(٢) أي: ذهبت آثارها. والمراد: قلة العاملين بها.

أن ترد عليهم، منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحلَّ الله لهم من الدنيا، أزهد منكم فيما حرِّم عليكم منها.

ما لي أسمع حسيساً ولا أرىٰ أنيساً، ذهب الناس وبقي النسناس[١].

لو تكاشفتم ما تدافنتم[٢].

تهاديتم الأطباق، ولم تتهادوا النصائح، قال ابن الخطاب: رحم الله امرأً أهدىٰ إلينا مساوينا.

أعدوا الجواب فإنكم مسؤولون.

المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أخذه من قبل ربه.

إن هذا الحق قد جَهَدَ أهله، وحال بينهم وبين شهواتهم، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله، ورجا عاقبته. فمن حمد الدنيا ذم الآخرة، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم علىٰ سخطه.

---

(١) النسناس: خلقٌ علىٰ صورة الإنسان، والمعنىٰ: ذهب الناس وبقي ما يشبههم في الصورة ويفارقهم في الفعال.

(٢) أي: لو تكشفت العيوب المستورة لكل إنسان، لما وجد من يدفنه عند موته، بسبب استثقال الناس تشييع جنازته.

يا ابن آدم، ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال[1].

فلسفة الانحراف

قال الحسن:

ما أكثر الراغبين عن سنة نبي الله ﷺ، وما أكثر التاركين لها.

ثم إن علوجاً فساقاً، أكلة رباً وغلول، قد شغلهم ربي عزّ وجلّ ومقتهم، زعموا: أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا، وستروا البيوت وزخرفوها، ويقولون: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف] ويذهبون بها إلىٰ غير ما ذهب الله بها إليه. إنما جعل ذلك لأولياء الشيطان.

الزينة: ما ركب ظهره[2].

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٣.

(٢) هذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] أراد الحسن رحمه الله أن يجعل هذه الآية مفسرة للآية السابقة، فالزينة في آية الأعراف ليست علىٰ إطلاقها؛ بل هي مقيدة بهذه الآية، ولذا فسرها بالركوب.

والطيبات: ما جعل الله تعالىٰ في بطونها.

فيعمد أحدهم إلىٰ نعمة الله عليه فيجعلها ملاعب لبطنه وفرجه وظهره، ولو شاء الله إذ أعطىٰ العباد ما أعطاهم، أباح ذلك لهم، ولكن تعقبها بما يسمعون: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف][١].

فمن أخذ نعمة الله وطعمته، أكل بها هنيئاً مريئاً، ومن جعلها ملاعب لبطنه وفرجه وعلىٰ ظهره، جعلها وبالاً يوم القيامة[٢].

العمل هو الميزان

قال الحسن:

اعتبروا الناس بأعمالهم، ودعوا أقوالهم. فإن الله عزّ وجلّ لم يدع قولاً؛ إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه.

---

(١) وقد أوضح الحسن رحمه الله (الطيبات من الرزق) مباحة بقيد عدم الإسراف كما في هذه الآية، وليست علىٰ إطلاقها.

(٢) «الحلية» ٢/١٥٣ ـ ١٥٤، و«تهذيب الحلية» ١/٣٣٨.

فإن سمعت قولاً حسناً، فرويداً بصاحبه، فإن وافق قول عملاً، فنعمَ، ونعمت عين فآخه وأحبَّه، وإذا خالف قول عملاً، فماذا يشبه عليك منه؟ أم ماذا يخفىٰ عليك منه؟

إياك وإياه، لا يخدعنك كما خدع ابن آدم، إن لك قولاً وعملاً، فعملك أحق بك من قولك. وإن لك سريرة وعلانية، فسريرتك أحق بك من علانيتك، وإن لك عاجلة وعاقبة، فعاقبتك أحق بك من عاجلتك[١].

رأس مال المؤمن

قال الحسن:

رأس مال المؤمن دينه، حيث ما زال زال معه، لا يخلِّفه في الرحال، ولا يأتمن عليه الرجال[٢].

العلم والعبادة

قال الحسن:

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧١، و«الزهد» لابن المبارك، ص٢٦.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٧١.

العامل علىٰ غير علم، كالسائر علىٰ غير طريق، والعامل علىٰ غير علم، ما يفسد أكثر مما يصلح.

فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بتْرك العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتىٰ خرجوا بأسيافهم علىٰ أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم، لم يدلهم علىٰ ما فعلوا - يعني الخوارج[١] -.

أصناف الناس

قال الحسن:

يا ابن آدم، لا غنىً بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أفقر.

مؤمن متَّهم[٢].

وعلج أغتم[٣].

---

(١) «الاعتصام» للشاطبي ٢/١٧٥.

(٢) هكذا المؤمن معرض للابتلاء دائماً.

(٣) العلج: الرجل من كفار العجم، والأغتم: الذي لا يفصح.

وأعرابي لا فقه له.

ومنافق مكذب.

ودنياوي مترف[١].

نعق بهم ناعق فاتبعوه، فراش نار[٢]، وذبان طمع[٣].

والذي نفس الحسن بيده، ما أصبح في هذه القرية مؤمن، إلا وقد أصبح مهموماً حزيناً، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله.

والناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلىٰ حقائقهم، فصار المؤمن إلىٰ إيمانه، والمنافق إلىٰ نفاقه.

أي قوم، إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم، فسارعوا إلىٰ ربكم، فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همّه[٤].

---

(١) دنياوي: نسبة إلىٰ الدنيا.

(٢) أي: كالفراش الذي يتهافت علىٰ النار، وفيها حتفه.

(٣) ذبان: ذباب.

(٤) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

الخوف والرجاء

قال الحسن:

ينبغي أن يكون الخوف أغلب على الرجاء، فإن الرجاء إذا غلب الخوف فسد القلب.

وقال:

عجباً لمن خاف العقاب، ولم يكفَّ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل[1].

المبادرة بالعمل

قال الحسن:

بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل، فإن لكم ما أمضيتم، لا ما أبقيتم[2].

القوة والضعف

قال الحسن:

من كان قوياً فليعتمد على قوَّته في طاعة الله،

---

(١) «العقد الفريد» ٣/ ١١٣.

(٢) «العقد الفريد» ٣/ ١١٨.

ومن كان ضعيفاً فليكفَّ عن معاصي الله[1].

الشغل بما أمر الله

قال الحسن:

إنّ فيما أمرك الله شغلاً عما نهاك عنه[2].

ذل المعصية

قال الحسن ـ وقد ذكر عنده الملوك ـ:

أما إنهم وإن هملجت[3] لهم البغال، وأطافت بهم الرجال، وتعاقبت لهم الأموال، إن ذل المعصية في قلوبهم، إن الله أبىٰ؛ إلا أن يذل من عصاه[4].

الإحسان والخشية

قال الحسن:

عملوا ـ والله ـ بالطاعات، واجتهدوا فيها،

---

(١) «العقد الفريد» ٣/ ١٢٠.
(٢) «العقد الفريد» ٣/ ٨٧.
(٣) هملجت: بمعنىٰ: تبخترت.
(٤) «العقد الفريد» ٣/ ١٣٦.

وخافوا أن تردَّ عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً[1].

أفضل الأعمال

كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الحسن: اجمع لي أمر الدنيا، وصف لي أمر الآخرة:

فكتب إليه:

إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط.

ونحن في أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم.

ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل.

فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فاقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» رقم (٣٨٢).

واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه[1].

ليس فيه خير

قال الحسن:

ليس بين العبد وبين ألا يكون فيه خير، إلا أنْ يرىٰ أنَّ فيه خيراً[2].

مدح في ثوب ذم

قال الحسن:

ذم الرجل لنفسه في العلانية، مدح لها في السريرة[3].

لبس الصوف

ذُكر عند الحسن الذين يلبسون الصوف، فقال:

ما لهم؟ تفاقدوا، تفاقدوا، تفاقدوا[4].

---

(١) «العقد الفريد» ٣/ ٨٧.

(٢) «عيون الأخبار» ١/ ٢٧٢.

(٣) «العقد الفريد» ٣/ ١٤٩.

(٤) تفاقدوا: دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضاً.

أكنوا الكبر في قلوبهم، وأظهروا التواضع في ملابسهم، والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه، من صاحب المطرف[1] بمطرفه[2].

علموا وجهلنا

ذكر الصحابة ﷺ عند الحسن فقال:

رحمهم الله، شهدوا وغِبنا، وعلموا وجهلنا، فما اجتمعوا عليه اتبعنا وما اختلفوا فيه وقفنا[3].

الكلام

دخل الحسن المسجد ومعه فرقد، فقعد إلىٰ جنب حلقة يتكلمون، فنصت لحديثهم، ثم أقبل علىٰ فرقد فقال:

يا فرقد، والله ما هؤلاء إلا قوم ملوا العبادة، ووجدوا الكلام أهون عليهم، وقلَّ ورعهم فتكلموا[4].

---

(١) المطرف: الرداء من الخز.

(٢) «عيون الأخبار» ٢/ ٣٧٢.

(٣) «العقد الفريد» ٢/ ٨٢.

(٤) «الحلية» ٢/ ١٥٧.

الأمر قريب

قال الحسن:

ابن آدم، السكين تحدّ، والكبش يعتلف، والتنور يسجر[1].

قيدتك ذنوبك

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد: أردت البارحة أن أصلي فلم أستطع. قال:

قيدتك ذنوبك[2].

التسويف

قال الحسن:

ابن آدم، إياك والتسويف، فإنك بيومك، ولست بغدٍ، فإن يكن غدٌ لك، فكِسْ في غد كما كستَ[3] في اليوم، وإلا يكن[4] لك، لم تندم علىٰ ما فرطت في اليوم[5].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٢.

(٢) «العقد الفريد» ٣/ ١٢٠.

(٣) من الكياسة، وهي حسن التصرف.

(٤) وإلا يكن: أي مات قبل مجيئه.

(٥) كتاب «الزهد» لابن المبارك، ص٤.

الشح بالعمر

قال الحسن:

أدركت أقواماً، كان أحدهم أشحَّ علىٰ عمره، منه علىٰ دراهمه ودنانيره[1].

بالعمل يرفع الدعاء

قال الحسن:

العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلىٰ الله تعالىٰ، فإذا كان كلام طيب وعمل سيئ، رُدَّ القولُ علىٰ العمل، وكان عمل أحق من قوله[2].

البكاء وقساوة القلب

قال مبارك بن فضالة: قرأ الحسن هذه الآية:

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم].

وقال: والله إن كان أكيس القوم في هذا الأمر

---

(١) كتاب «الزهد» لابن المبارك، ص٤.

(٢) المصدر قبله ص٣٠.

لمن بكىٰ، فأبكوا هذه القلوب، وأبكوا هذه الأعمال، فإن الرجل لتبكي عيناه وإنه لقاسي القلب[1].

مخافة الشهرة

قال الحسن:

لقد صحبت أقواماً إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة، لو نطق بها نفعته، ونفعت أصحابه، فما يمنعه منها؛ إلا مخافة الشهرة، وإن كان أحدهم ليمر، فيرىٰ الأذىٰ علىٰ الطريق، فما يمنعه أن ينحيه؛ إلا مخافة الشهرة[2].

البعد عن الرياء

قال الحسن:

إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره.

وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس.

---

(١) «الزهد» لابن المبارك، ص٤١.

(٢) «الزهد» لابن المبارك، ص٤٥.

وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته، وعنده الزور[1]، وما يشعرون به.

ولقد أدركنا أقواماً، ما كان علىٰ ظهر الأرض من عمل يقدرون علىٰ أن يعملوه في سرّ، فيكون علانية أبداً.

ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم عزّ وجلّ. ذلك أن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله تعالىٰ ذكر عبداً صالحاً ورضي قوله. فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[2] [مريم][3].

الخوف مع العمل

قال الحسن:

لقد مضىٰ بين أيديكم أقوام، لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصىٰ، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم[4].

---

(١) الزور: الزوار الذين في ضيافته.
(٢) هو زكريا عليه السلام.
(٣) «الزهد» لابن المبارك، ص٤٥.
(٤) «الزهد» لابن المبارك، ص٥١.

خشب مسندة

قال الحسن:

إذا شئت لقيته، أبيض بضاً[١]، حديد اللسان[٢]، حديد النطق، ميت القلب والعمل، أنت أبصر به من نفسه، ترىٰ أبداناً ولا ترىٰ قلوباً، وتسمع الصوت ولا أنيس، أخصب ألسنة، وأجدب قلوباً[٣].

الوصية

قال الحسن:

المسلم لا يأكل في كل بطنه، ولا تزال وصيته تحت جنبه[٤].

---

(١) البض: الرخص الجسد، الرقيق الجلد، الممتلئ، والمراد: الجميل.

(٢) حديد: نافذ، والمراد: أن عنده بلاغة في القول.

(٣) «الزهد» لابن المبارك، ص٦٥. وكأن الحسن رحمه الله يفسر بقوله هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

(٤) «الزهد» لابن المبارك، ص٩٢.

يحسبهم الجاهل مرضىٰ

عن الحسن أنه ذكر هذه الآية:

﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فقال: المؤمنون قوم ذُلل[١]، ذلَّتْ ـ والله ـ الأسماع والأبصار والجوارح، حتىٰ يحسبهم الجاهل مرضىٰ، والله ما بالقوم من مرض، وإنهم لأصحاب القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة.

وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ـ والله ما أحزنهم حزن الناس، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار.

وإنه من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب، فقد قلَّ علمه، وحضر عذابه[٢][٣].

---

(١) ذلل: جمع ذلول، وهو سهل القياد. وذلت الأسماع: خضعت.

(٢) حضر عذابه: أي كان عذابه في الدنيا قبل الآخرة، ويكفيه جهله بنعم الله الأخرىٰ، كالإيمان والرضا...

(٣) «الزهد» لابن المبارك، ص١٣٤.

الشح

قال الحسن:

والله ما لقيت أمة من الشح ما لقيت هذه الأمة، وما وعظت أمة بمثل ما وعظت به هذه الأمة ـ ثم ذكر أوليتهم، وتباذلهم، وتعاطفهم وتراحمهم ـ والله ما وعظت أمة بمثل ما وعظت هذه الأمة، وما لقيت أمة من الشح ما لقيت هذه الأمة، حتىٰ إن أحدهم ليكسر عظم أخيه عظماً عظماً: هاتِ درهماً، هات درهماً!! وهذا عاض عليه، وهذا ملحٌّ عليه[1]؟!

البنيان المرصوص

قال الحسن:

إن المؤمن شعبة من المؤمن، إنَّ به حاجته، إنَّ به علته، إنه يَكْلِفُه[2]، وفيٌّ يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، وهو مرآة أخيه، إنْ رأىٰ منه ما لا يعجبه سدَّده وقوَّمه، ووجهه، وحاطه في السرّ والعلانية، إنَّ لك

---

(١) «الزهد» لابن المبارك، ص٢٣١.

(٢) يكلفه: الكِلف: الرجل العاشق، المراد: يحبه.

من خليلك نصيباً، وإن لك نصيباً من ذكر من أحببت. فتنقوا[1] الإخوان والأصحاب والمجالس[2].

الاعتكاف وقضاء حاجات الناس

عن حميد الطويل قال:

دخل الحسن علىٰ ثابت البناني، لينطلق في حاجة لرجل.

فقال ثابت: إني معتكف.

فقال الحسن: لأن أقضي حاجة أخ لي مسلم، أحب إلي من اعتكاف سنة[3].

---

(١) تنقوا: أي اختاروا.

(٢) «الزهد» لابن المبارك، ص٢٣٢.

(٣) «الزهد» لابن المبارك، ص٢٥٨.

وأخرج ابن المبارك عن أبي جعفر قال: جاء رجل إلىٰ حسين بن علي، فاستعان به علىٰ حاجة، فوجده معتكفاً، فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك، فقضيت حاجتك، ثم خرج من عنده فأتىٰ الحسن بن علي، فذكر له حاجته، فخرج معه لحاجته، فقال: أما إني قد كرهت أن أعنيك - أي أتعبك - في حاجتي، ولقد بدأت بحسين فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك. فقال الحسن: لقضاء حاجة أخ =

اليسر والتخفيف

قال الحسن:

إن هذا الدين دين واصب[1]، وإنه من لا يصبر عليه يدعه، وإن الحق ثقيل، وإن الإنسان ضعيف، وكان يقال: ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق، فإنه لا يدري ما قدر أجله. وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف[2]، وكلَّف نفسه ما لا يطيق، أوشك أن يسيِّب ذلك كله[3]، حتىٰ لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب نفسه التيسير والتخفيف، وكلَّف نفسه ما تطيق، كان أكيس[4]، أو قال: كان أكثر العاملين[5].

= لي في الله، أحب إلي من اعتكاف شهر. ص٢٥٨.

(١) واصب: أي ثابت واجب دائم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢].

(٢) ركب بنفسه العنف: يعني ألزم نفسه العنف، وهو الشدة وعدم الرفق.

(٣) يسيب: أي يترك ويهمل.

(٤) الكيس: العاقل، والكياسة: حسن التصرف.

(٥) «الزهد» لابن المبارك، ص٤٦٨.

ذكر النعم

قال الحسن:

أكثروا ذكر هذه النعم، فإن ذكرها شكرها[١].

وأجر من عمل بها

قال الحسن:

من استطاع منكم أن يكون إماماً لأهله[٢]، إماماً لحيِّه، إماماً لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك؛ إلا كان لك منه نصيب[٣].

الآمر بالمعروف[٤]

قال الحسن:

إذا كنت آمراً بالمعروف، فكن من آخَذِ الناس به؛ وإلا هلكت، وإذا كنت ممن ينهىٰ عن المنكر، فكن من أنكر الناس له؛ وإلا هلكت.

---

(١) «الزهد» لابن المبارك، ص٥٠٣.

(٢) إماماً: أي قدوة في أعمال الخير.

(٣) «الزهد» لابن المبارك، ص٢٩٢.

(٤) هذه الموعظة وما بعدها حتى موضوع الصلاة صفحة ١٦٨؛ من كتاب «الزهد» ص٣١٦ ـ ٣٥٢ للإمام أحمد.

ما سألوا الجنة حياء

قال الحسن:

لقد أدركت أقواماً، وصحبت طوائف منهم، ما سألوا الله عزّ وجلّ الجنة قط حياء من الله عزّ وجلّ.

العلم للعمل

قال الحسن:

قد كان الرجل يسمع بالباب من أبواب العلم، فيتعلمه ويعمل به، فيكون خير له من الدنيا وما فيها لو كانت له فوضعها في آخرة[١].

الأولويات

قال الحسن:

يقول أحدهم: أحج، أحج.. قد حججت، صِلْ رحماً، نفِّسْ عن مغموم، أحسن إلىٰ جار.

---

(١) أي: من عمل بباب علم تعلمه، خير له من الدنيا وما فيها لو بذلها لآخرته.

لا فرح ولا أسىٰ

قال الحسن:

أدركت أقواماً، كانوا لا يفرحون بشيء من الدنيا أوتوه[1]، ولا يأسون[2] علىٰ شيء منها فاتهم.

خوف النار

قال الحسن:

والله ما صدَّق عبد بالنار؛ إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف هذا الحائط لم يصدق بها، حتىٰ يتجهم عليها.

عقوبة العالم

قال مالك بن دينار للحسن: ما عقوبة العالم؟

قال: موت القلب.

قال: وما موت القلب؟

قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة.

(١) في الأصل: أتوه.

(٢) الأسىٰ: الحزن.

أفضل العلم

قال الحسن:

أفضل العلم: الورع والتوكل.

لو نام إبليس

سئل الحسن: يا أبا سعيد، هل ينام إبليس؟

قال: لو نام لوجدنا لذلك راحة.

لا تزال كريماً

قال الحسن:

لا تزال كريماً علىٰ الناس، ولا يزال الناس يكرمونك، ما لم تتعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك، استخفوا بك، وكرهوا حديثك، وأبغضوك.

متىٰ تكون النوافل

قال الحسن:

إن القلوب تموت وتحيا، فإذا هي ماتت، فاحملوها علىٰ الفرائض، فإذا هي حييت فأدبوها بالتطوع.

غافلون

قال الحسن:

كم من مستدرَجٍ بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.

ليست التقوىٰ باللباس

قال خالد بن شوذب: رأيت فرقد السبخي، وعليه جبة صوف، فأخذ الحسن بجبته ثم قال:

يا ابن فرقد ـ مرتين أو ثلاثاً ـ؛ إن التقوىٰ ليس في هذا الكساء، إنما التقوىٰ ما وقر في القلب، وصدقه العمل والفعل.

التناصح والتذكير

عن شيبان: أنه سمع الحسن يقول لأحد بني الشخير: حدثنا يا غلام.

فقال: إنا لم نبلغ هذا، يا أبا سعيد.

فقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأيّنا بلغ هذا؟ ودَّ الشيطان لو تمكن من هذه[1]، والله لولا ما أعقد الله

(١) أي: أن يترك الناس التناصح بحجة أنهم ليسوا أهلاً لذلك.

علىٰ العلماء[1]، لم ننطق.

حب العلم

قال الحسن:

لَبابٌ واحد من العلم أتعلمه، أحب إلي من الدنيا وما فيها.

وهل يشبع المسلم

عن عقبة الراسبي قال: دخلت علىٰ الحسن، فوافيته يتغدىٰ خبزاً ولحماً.

فقال: هلمَّ إلىٰ طعام الأحرار، فقلت: أكلت، لا أستطيع أن آكل.

فقال: سبحان الله!! ويأكل المسلم حتىٰ لا يستطيع أن يأكل؟!

الحب والبغض هوناً

قال الحسن:

أحبوا هوناً، وأبغضوا هوناً، فقد أفرط أقوام في

(١) أي: ما أخذ عليهم من العهد في بيان ما علموا للناس.

حب أقوام فهلكوا، وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا، لا تفرط في حب، ولا تفرط في بغض.

الاتّعاظ بالموت

عن أسماء بن عبد قال: قال الحسن:

كان رجل من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جداً واجتهاداً.

فيلبث بذلك ما شاء الله، ثم يبلغه موت الأخ من إخوانه، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جداً واجتهاداً.

قال: فردد الحسن هذا الكلام غير مرة، فوالله ما زال كذلك حتىٰ مات موتاً كيّساً.

العبادة طول العمر

قال الحسن:

أي قوم، المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل

شهراً أو شهرين، أو عاماً أو عامين، لا والله، ما جعل الله لعمل المؤمن أجلاً دون الموت.

المطعم الطيب

قال الحسن:

مطعمان طيبان: رجل يعمل بيده، وآخر يحمل علىٰ ظهره.

شر الأمور المحدثات

قال الحسن:

اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم، وإياكم وما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات.

الموعظة بالفعل

قال الحسن: عظ الناس بفعلك، لا تعظهم بقولك.

الاقتصاد

عن المعلىٰ بن زياد قال: سمعت الحسن يحلف

بالله: ما عال[1] مقتصد[2] قط.

منْ عرف ربه

قال الحسن:

من عرف ربه تبارك وتعالىٰ أحبه، ومن أبصر الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتىٰ يغفل، وإذا فكر حزن.

النية أبلغ من العمل

قال الحسن:

النية أبلغ من العمل.

الدخول علىٰ الأغنياء

قال الحسن:

إن الرجل ليدخل المدخل، ويجلس المجلس، أو يأكل الأكلة، فيغير قلبه، فإياكم والدخول علىٰ أهل

---

(١) عال: كثر عياله، والمراد: افتقر.
(٢) الاقتصاد: ضد الإفراط، والمعنىٰ: ما افتقر من اعتدل في النفقة.

البسطة، فإن الدخول عليهم يغير قلب الرجل، فيتسخط ما في يديه.

الوسطية

قال الحسن:

وضع دين الله دون الغلو، وفوق التقصير.

رد الظلم أولىٰ

قال الحسن:

يا أيها المتصدق علىٰ المسكين ترحمه، ارحم الذي ظلمت[1].

نظر شهوة

قال الحسن:

رُبَّ نظرة أوقعت في قلب صاحبها شهوة، ورُبَّ شهوة أورثت صاحبها حزناً طويلاً.

---

(١) أي: أن الذي جمع أمواله من ظلم الناس، فالأولىٰ به أن يمتنع عن ظلمهم رحمة بهم، قبل أن يرحم المسكين بالدرهم والدينار.

الأماني

قال الحسن:

إياكم ـ رحمكم الله ـ وهذه الأماني، فإنه لم يعط أحد بالأمنية خيراً في الدنيا ولا في الآخرة.

نعمت الدنيا للمؤمن

قال الحسن:

نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً، وأخذ زاده منها إلىٰ الجنة.

وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه تمتع ليالي، وكان زاده منها إلىٰ النار.

اقرأ القرآن ما نهاك

قال الحسن:

اقرأ القرآن ما نهاك[1]، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه، رُبَّ حامل فقه غير فقيه، ومن لم ينفعه علمه، ضرَّه جهله.

---

(١) أي: ما دمت تأتمر بأمره، وتنتهي عما نهاك.

أحب العباد

قال الحسن:

أحب العباد إلىٰ الله، الذين يحببون الله إلىٰ عباده، ويعملون في الأرض نصحاً.

القذىٰ والجذل

قال الحسن:

ابن آدم، تُبْصِرُ القذىٰ في عين أخيك، وتدع الجذل معترضاً في عينك[1].

التكبر

قال الحسن:

يا ابن آدم، كيف تتكبر، وأنت خرجت من سبيل البول مرتين.

الرشوة

قال الحسن:

---

(١) القذىٰ: ما يقع في العين، والجذل: أصل الشجرة.

إذا دخلت الرشوة من الباب، خرجت الأمانة من الكوة.

أبكاه الشيطان

عن الربيع بن صبيح قال: كنا عند الحسن، فوعظ، فانتحب رجل.

فقال الحسن: أما والله، ليسألنك الله عزّ وجلّ يوم القيامة، ما أردت بها؟

وقال عبد الكريم بن رشيد: كنت في حلقة الحسن، فجعل رجل يبكي، وارتفع صوته.

فقال الحسن: إن الشيطان ليُبكي هذا الآن.

جماع النفاق

قال الحسن:

الكذب جماع النفاق.

تكرار التوبة

عن سعيد الجرجري قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، حتىٰ متىٰ؟

قال: ما أعلم هذا إلا من أخلاق المؤمنين.

الصلاة

قال الحسن:

الصلاة خير موضوع، من شاء استقلَّ، ومن شاء استكثر[1].

ما يتمناه الشيطان

قال الحسن لمطرف بن عبد الله: عظ أصحابك.

فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل.

قال: يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول؟ ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر[2].

بلاغة

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، ما تقول في الدنيا؟

---

(١) هذا آخر ما تم نقله من كتاب «الزهد» للإمام أحمد.

(٢) «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٧.

فقال: وما عسىٰ أن أقول في دار حلالها حساب، وحرامها عقاب.

فقال الرجل: تالله ما رأيت كلاماً أوجز من كلامك.

فقال الحسن: بل كلام عمر بن عبد العزيز أوجز وأبلغ من كلامي، حين كتب إليه عامل حمص: إن سورها قد تهدم واحتاج إلىٰ إصلاح. فكتب إليه:

حصن مدينتك بالعدل، ونقِّها من الظلم، تأمن عليها المخاوف، وترجُ لها السلامة[1].

استغفار

قال ابن صبيح: شكا رجل إلىٰ الحسن الجدوبة.

فقال له: استغفر الله.

وقال له الآخر: ادع الله أن يرزقني ولداً.

فقال له: استغفر الله.

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٧٩.

وشكا إليه آخر جفاف بستانه.

فقال له: استغفر الله.

فقلنا له في ذلك، فقال:

ما قلت من عندي شيئاً، إن الله تعالىٰ يقول في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح][١].

هل يحسد أخاه؟

قيل للحسن: أيكون المؤمن حسوداً؟

قال: لا أبا لك!! ما أنساك بني يعقوب؟ فعلوا بأخيهم ما فعلوا[٢].

قسوة القلب

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي.

---

(١) «تفسير القرطبي» ١٨/ ٣٠٢.

(٢) «الرعاية لحقوق الله» ص٤٨، والقصة ذكرها القرآن الكريم مفصلة في سورة يوسف.

قال: أذْنِهِ من الذكرىٰ. أي: ممن يذكر[1].

طلب الحاجات

قال الحسن: إن المؤمن إذا طلب حاجة، إن تيسرت، قبلها بميسور الله عزّ وجلّ عليها، وحمد الله عليها، وإن لم تتيسر تركها ولم يتبعها نفسه[2].

تفريج الكرب

قال الحسن:

عجباً لمكروب غفل عن خمس وقد عرف ما جعل الله لمن قالهن:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ

(١) «الزهد» للإمام أحمد، ص٣٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤١.

جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر].

وقوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران][1].

الصبر على الشدة

قال الحسن:

---

(١) «الفرج بعد الشدة» للتنوخي، ١/ ٦٣ ـ ٦٤.

الخير الذي لا شرَّ فيه. هو الشكر مع العافية، والصبر عند المحنة، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلىً بمحنة وهو غير صابر[1].

رسالة إلى عمر بن عبد العزيز

كتب الحسن البصري رسالة إلىٰ عمر بن عبد العزيز. جاء فيها:

اعلم أن التفكير يدعو إلىٰ الخير والعمل به، والندم علىٰ الشر يدعو إلىٰ تركه، وليس ما يفنىٰ ـ وإن كان كثيراً ـ يعدل ما يبقىٰ وإن كان طلبه عزيزاً. واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة، خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية.

فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة، التي قد تزينت بخدعها، وغرَّت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوقت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوَّة، العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة، ولألبابها دامغة[2]، وهي

---

(١) «الفرج بعد الشدة» للتنوخي، ١/ ١٧١.

(٢) دامغة: الدامغة الجرح الذي يصل إلىٰ الدماغ.

لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بما رأىٰ من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله والمصدق حين أُخبر عنها مذَّكر.

فأبت القلوب لها إلا حباً، وأبت النفوس بها إلا ضناً، وما هذا منَّا لها إلا عشقاً، ومن عشق شيئاً لم يعقل غيره، ومات في طلبه، أو يظفر به، فهما عاشقان طالبان لها:

ـ فعاشق قد ظفر بها واغترَّ، وطغىٰ ونسي بها المبدأ والمعاد، فشغل بها لبه، وذهل فيها عقله، حتىٰ زلت عنها قدمه، وجاءته أسرَّ ما كانت له منيته، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، واشتدت كربته، مع ما عالج من سكرته. واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرة الموت بغصته. غير موصوف ما نزل به.

ـ وآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته، فذهب بكربه وغمه، لم يدرك منها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب.

خرجا جميعاً بغير زاد، وقدما علىٰ غير مهاد.

فاحذرها الحذر كله، فإنها مثل الحية، ليّن مسّها، وسمها يقتل، فأعرض عما يعجبك فيها، لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لِمَا عاينت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها. وشدد[١] ما اشتد منها لرخاء ما يصيبك، وكن أسرَّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها. فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلىٰ سرور له، أشخصته عنها بمكروه، وكلما ظفر بشيء منها وثنىٰ رجلاً عليه انقلبت به. فالسارّ فيها غارّ[٢]، والنافع فيها غداً ضارّ.

وُصِلَ الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلىٰ فناء، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها الضعف والوهن.

فانظر إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر العاشق الوامق[٣]، واعلم أنها تزيل الثاوي[٤] الساكن، وتفجع المغرور الآمن، لا يرجع ما تولىٰ منها فأدبر، ولا يُدرىٰ ما هو آتٍ فينتظر.

---

(١) أي: تحمّل شدتها.

(٢) أي: كل ما فيه السرور، فهو وسيلة الغرور.

(٣) الوامق: المحب المتودد.

(٤) الثاوي: المقيم، ثوي بالمكان: أطال الإقامة به.

فاحذرها، فإن أمانيها كاذبة، وإن آمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها علىٰ خطر: إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما منية قاضية.

فلقد كدَّت[1] عليه المعيشة إن عقل، وهو من النعماء علىٰ خطر، ومن البلوىٰ علىٰ حذر، ومن المنايا علىٰ يقين.

فلو كان الخالق تعالىٰ لم يخبر عنها بخبر، ولم يضرب لها مثلاً، ولم يأمر فيها بزهد، لكانت الدار قد أيقظت النائم ونبهت الغافل. فكيف وقد جاء من الله تعالىٰ عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله عزّ وجلّ قدر، ولا لها عند الله تعالىٰ وزن من الصغر، ولا تزن عند الله تعالىٰ مقدار حصاة من الحصا، ولا مقدار ثراة في جميع الثرىٰ، ولا خلق خلقاً ـ فيما بلغت ـ أبغض إليه من الدنيا، ولا نظر إليها منذ خلقها، مقتاً لها.

---

(١) كدت: الكد: الشدة، والمراد: أنها جعلت الكد والتعب وسيلة الحصول علىٰ المعيشة.

ولقد عرضت علىٰ نبينا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، ولم ينقصه ذلك عنده جناح بعوضة، فأبىٰ أن يقبلها، وما منعه من القبول لها ـ ولا ينقصه عند الله تعالىٰ شيء ـ إلا أنه علم أن الله تعالىٰ أبغض شيئاً فأبغضه، وصغَّر شيئاً فصغره، ووضع شيئاً فوضعه، ولو قبلها كان الدليلَ علىٰ حبه إياها قبولُها، ولكنه كره أن يحب ما أبغض خالقه، وأن يرفع ما وضع مليكه.

ولو لم يدله علىٰ صغر هذه الدار، إلا أن الله تعالىٰ حقَّرها، أن يجعل خيرها ثواباً للمطيعين، وأن يجعل عقوبتها عذاباً للعاصين، فأخرج ثواب الطاعة منها وأخرج عقوبة المعصية عنها[١].

وقد يدلك علىٰ شر هذه الدار، أن الله تعالىٰ زواها عن أنبيائه وأحبائه اختباراً، وبسطها لغيرهم اعتباراً واغتراراً، ويظن المغرور بها، والمفتون عليها، أنه إنما أكرمه بها، ونسي ما صنع بمحمد المصطفىٰ ﷺ، وموسىٰ المختار عليه السلام بالكلام له وبمناجاته.

---

(١) أي: أن الدنيا أحقر من أن تكون داراً للجزاء.

فأما محمد ﷺ فشدَّ الحجر علىٰ بطنه من الجوع.

وأما موسىٰ عليه السلام فرئي خضرةُ البقل من صفاق بطنه من هزاله، ما سأل الله تعالىٰ يوم أوىٰ إلىٰ الظل إلا طعاماً يأكله من جوعه[1]. ولقد جاءت الروايات عنه: أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه: أن يا موسىٰ، إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنىٰ قد أقبل فقل: ذنب عجلت عقوبته.

وإن شئت ثلثته[2] بصاحب الروح والكلمة[3]، ففي أمره عجيبة، كان يقول: أدمي الجوع[4]، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابتي رجلي،

---

(١) هذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ...﴾ [القصص: ٢٤].

(٢) أي: جعلت لك مثالاً ثالثاً، بعد المثالين السابقين عن محمد وموسىٰ عليهما الصلاة والسلام.

(٣) المراد به عيسىٰ عليه السلام.

(٤) أدمي: الأدم: ما يؤكل مع الخبز، والمراد: أنه وطن نفسه علىٰ الجوع.

وسراجي بالليل القمر، وصلايتي[١] في الشتاء الشمس، وفاكهتي وريحانْتي ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام، أبِيْتُ وليس لي شيء، وليس أحد أغنىٰ مني.

ولو شئت ربعت[٢] بسليمان بن داود ﷺ، فليس دونهم[٣] في العجب، يأكل خبز الشعير في خاصته، ويطعم أهله الخشكار[٤]، والناس الدرمك[٥]، فإذا جنَّه الليل، لبس المسوح، وغلَّ اليد إلىٰ العنق، وبات باكياً حتىٰ يصبح، يأكل الخشن من الطعام، ويلبس الشعر من الثياب.

كل هذا يبغضون ما أبغض الله عزّ وجلّ، ويصغرون ما صغر الله تعالىٰ، ويزهدون فيما فيه زهد.

ثم اقتص الصالحون بعدُ منهاجهم، وأخذوا

---

(١) صلايتي: في اللغة صلىٰ اللحم: شواه، والمراد: أنه يستدفئ بالشمس.
(٢) ربعت: أي ضربت مثلاً رابعاً.
(٣) أي: ليس أقل منهم في التعجب من أمره.
(٤) الخشكار: رديء الدقيق.
(٥) الدرمك: الدقيق الحواري الأبيض.

بآثارهم، وألزموا الكد والعبر، وألطفوا التفكر، وصبروا في مدة الأجل القصير، عن متاع الغرور، الذي إلىٰ الفناء يصير، ونظروا إلىٰ آخر الدنيا، ولم ينظروا إلىٰ أولها، ونظروا إلىٰ عاقبة مرارتها، ولم ينظروا إلىٰ عاجل حلاوتها، ثم ألزموا أنفسهم الصبر، أنزلوها من أنفسهم بمنزلة الميتة التي لا يحل الشبع منها إلا في حال الضرورة إليها؛ فأكلوا منها بقدر ما يردّ النفس ويقي الروح، ويسكن القرم[1]، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي قد اشتد نتن ريحها؛ فكل من مرَّ بها أمسك علىٰ أنفه منها. فهم يصيبون منها لحال الضر، ولا ينتهون منها إلىٰ الشبع من النتن، فغربت عنهم، وكانت هذه منزلتها من أنفسهم، فهم يعجبون من الآكل منها شبعاً!! والمتلذذ بها أشراً، ويقولون في أنفسهم: أما ترىٰ هؤلاء لا يخافون من الأكل، أما يجدون ريح النتن؟! وهي والله - يا أخي - في العاقبة والآجلة أنتن من الجيفة المرصوفة.

غير أن أقواماً استعجلوا الصبر، فلا يجدون ريح النتن، والذي نشأ في ريح الإهاب النتن لا يجد نتنه،

---

(١) القرم: شدة شهوة اللحم.

ولا يجد من ريحه ما يؤذي المارة، والجالس عنده.

وقد يكفي العاقل منها: أنه من مات عنها وترك مالاً كثيراً، سرَّه أنه كان فيها فقيراً، أو شريفاً، أنه كان فيها وضيعاً، أو كان فيها معافىً، سرَّه أنه كان فيها مبتلىً، أو كان مُسَلْطَناً[1] سرَّه أنه كان فيها سوقة، وإن فارقتها سرَّك أنك كنت أوضع أهلها ضعة، وأشدهم فيها فاقة. أليس ذلك الدليل علىٰ خزيها لمن يعقل أمرها؟

والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً؛ وجده إلىٰ جنبه من غير طلب ولا نصب، غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمته حقوق الله فيه، وسأله عنه، ووقفه علىٰ حسابه، لكان ينبغي للعاقل أن لا يأخذ منها إلا قدر قوته وما يكفي، حذر السؤال، وكراهية لشدة الحساب.

وإنما الدنيا ـ إذا فكرت فيها ـ ثلاثة أيام: يوم مضىٰ، لا ترجوه، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا؟ ولا تدري لعلك تموت قبله؟

---

(١) أي: جعل سلطاناً.

مس فحكيم مؤدِب[١].

اليوم فصديق مودع.

غير أن أمسِ وإن كان قد فجعك بنفسه، فقد أبقىٰ في يديك حكمته، وإن كنت قد أضعته، فقد جاءك خلف منه، وقد كان عنك طويل الغيبة، وهو الآن عنك سريع الرحلة.

وغداً أيضاً في يديك منه أمله، فخذ الثقة بالعمل، واترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل، وإياك أن تُدخل علىٰ اليوم همَّ غدٍ، أو همَّ ما بعده[٢]، . . زدت في حزنك وتعبك، وأردت أن تجمع في يومك ما يكفيك أيامك.

هيهات، كثر الشغل، وزاد الحزن، وعظم التعب، وأضاع العبد العمل بالأمل، ولو أن الأمل في غدك خرج من قلبك، أحسنت اليوم في عملك، واقتصرت لهمِّ يومك، غير أن الأمل منك في الغد،

---

(١) في اليوم الماضي حكمة واعتبار لمن أراد ذلك.

(٢) كذا النص، وفيه تقدير محذوف: أي إن فعلت ذلك.. زدت..

دعاك إلىٰ التفريط، ودعاك إلىٰ المزيد في الطلب.

ولئن شئت ـ واقتصرت ـ لأصفنَّ لك الدنيا: ساعة بين ساعتين، ساعة ماضية، وساعة آتية، وساعة أنت فيها. فأما الماضية والباقية فليس تجد لراحتهما لذةً، ولا لبلائهما ألماً، وإنما الدنيا ساعة أنت فيها، فخدعتك تلك الساعة عن الجنة، وصيرتك إلىٰ النار.

وإنما اليوم ـ إن عقلت ـ ضيف نزل بك، وهو مرتحل عنك، فإن أحسنت نُزُلَه وقِراه، شهد لك، وأثنىٰ عليك بذلك وصدق فيك، وإن أسأت ضيافته، ولم تحسن قِراه، جال في عينيك. وهما يومان بمنزلة الأخوين، نزل بك أحدهما، فأسأت إليه ولم تحسن قِراه فيما بينك وبينه، فجاءك الآخر بعده فقال: إني قد جئتك بعد أخي، فإن إحسانك إلي يمحو إساءتك إليه، ويغفر لك ما صنعت، فدونك إذا نزلت بك وجئتك بعد أخي المرتحل عنك، فلقد ظفرت بخلف منه إن عقلت، فدارِكْ ما قد أضعت، وإن ألحقت الآخر بالأول فما أخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك.

إن الذي بقي من العمر لا ثمنَ له ولا عدل، فلو جمعت الدنيا كلها ما عدلتْ يوماً بقي من عمر صاحبه.

فلا تبع اليوم ولا تعدله من الدنيا بغير ثمنه، ولا يكوننَّ المقبور[1] أعظم تعظيماً لما في يديك منك، وهو لك، فلعمري لو أن مدفوناً في قبره قيل له: هذه الدنيا أولها إلىٰ آخرها، نجعلها لولدك من بعدك، يَتَنَعَّمون فيها من ورائك، فقد كنت وليس لك همٌّ غيرهم، أحب إليك، أم يوم تترك فيه تعمل لنفسك، لاختار ذلك، وما كان ليجمع مع اليوم شيئاً إلا اختار اليوم عليه، رغبة فيه وتعظيماً له.

بل لو اقتصر علىٰ ساعة خيّرها، وما بين أضعاف ما وصفت لك وأضعافه يكون لسواه، إلا اختار الساعة لنفسه علىٰ أضعاف ذلك يكون لغيره.

بل لو اقتصر علىٰ كلمة يقولها تكتب له، وبين ما وصفت لك وأضعافه، لاختار الكلمة الواحدة عليه.

فانتقد[2] اليوم لنفسك، وأبصر الساعة، وأعظم الكلمة.

---

(١) المقبور: الذي مات وأصبح في القبر.
(٢) النقد خلاف النسيئة والأجل، والمراد: تعامل مع يومك بالنقد، أي: بالدفع المباشر، ولا تؤجل.

واحذر الحسرة عند نزول السكرة[1]، ولا تأمن أن تكون لهذا الكلام حجْة، نفعنا الله وإياك بالموعظة، ورزقنا وإياك خير العواقب، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[2].

مثل الدنيا

قال الحسن:

ما الدنيا كلها من أولها إلىٰ آخرها إلا كرجل نام نومة، فرأىٰ في منامه ما يحب ثم انتبه[3].

الذكر قبل النوم

قال الحسن:

ما من مسلم يأوي إلىٰ فراشه يذكر الله، إلا كان فراشه مسجداً لله، وكتب عند الله من الذاكرين[4].

---

(١) المراد بها: سكرة الموت.
(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ١٣٤ ـ ١٤٠، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٢٠ ـ ٣٢٦.
(٣) «حلية الأولياء» ٦/ ٢٧٠، وهذا المعنىٰ مأخوذ من قوله ﷺ: (ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٧٧).
(٤) «حلية الأولياء» ٦/ ٢٧١.

الصباح

قال الحسن:

إنكم أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابكم، والنار بين أيديكم، وما ترون ـ والله ـ ذاهباً، فتوقعوا قضاء الله في كل يوم وليلة، ولينظر امرؤ ما قدم لنفسه[١].

الخوف من انبساط الدنيا

قال الحسن:

والله ما أحد من الناس بسط له دنيا، ولم يخف أن يكون قد مُكِرَ به فيها؛ إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه، وما أمسكها الله من عبد مسلم [فلم][٢] يظن أنه قد خِيرَ له فيها؛ إلا كان قد نقص علمه وعجز رأيه[٣].

---

(١) «حلية الأولياء» ٦/ ٢٧١.

(٢) أضفت هذه الكلمة، إذ بها يستقيم المعنىٰ، وهي ليست بالأصل.

(٣) «حلية الأولياء» ٦/ ٢٧٢.

حسرات ثلاث

قال الحسن:

لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاثة:

- أنه لم يتمتع بما جمع.
- ولم يدرك ما أمل.
- ولم يحسن الزاد لما قدم عليه[١].

حسن الخلق

قال الحسن:

حقيقة حسن الخلق: بذل المعروف، وكفُّ الأذىٰ، وطلاقة الوجه[٢].

معالي الأخلاق

قال الحسن:

معالي الأخلاق للمؤمن: قوة في لين، وحزم في

---

(١) «حلية الأولياء» ٦/ ٢٧٢.

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح، ٢/ ٢١٦.

دين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في كرم، وبرّ في استقامة[1].

العلماء والعمل

قال الحسن:

اعلموا ما شئتم أن تعملوا[2]، فوالله لا يؤجركم الله تعالى عليه حتى تعملوا، فإن السفهاء همتهم الرواية، وإن العلماء همتهم الرعاية.

وقال:

إن الله لا يعبأ بذي قول ورواية، وإنما يعبأ بذي فهم ودراية[3].

الخوف من الذنوب

قال الحسن:

إن بين العبد وبين الله عز وجل حداً محدوداً من

---

(١) «غذاء الألباب» للسفاريني، ١/ ٣٦٠.

(٢) أي: تعلموا طالما أن علمكم للعمل.

(٣) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، ١/ ١٣٣.

الذنوب، فإذا بلغه العْبد طَبَع علىٰ قلبه، فلم يوفقه للخير أبداً[1].

وقال ـ وقد عوتب في شدة حزنه:

ما يؤمنني أن الله قد اطلع عليَّ في بعض ما يكره، فمقتني، فقال: اذهب فلا غفرت لك، فأنا أعمل في غير معمل[2].

الأماني

قال الحسن:

عباد الله، اتقوا هذه الأماني، فإنها أودية النوكىٰ[3] يحلون فيها، والله ما أتىٰ عبدٌ اللَّهَ بأمنيته خيراً من دنياه ولا آخرته[4].

خوف الحسن

عن الحسن ـ وقد ذكر له الرجل الذي يخرج من النار بعد ألف عام ـ فبكىٰ ثم قال:

---

(١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، ١/ ٨٨.

(٢) المصدر قبله ١/ ٢٢٨.

(٣) النوكىٰ: الحمقىٰ.

(٤) «قوت القلوب» ١/ ١٠٠.

يا ليتني مثل ذلك الرجل![1]

العقوبة على مخالفة الأمر

بلغ الحسن البصري أن عمرو بن عبيد يقول: إن الله لا يقضي بالشيء ثم يعذب عليه. فقال [للمبلغ]:

ويلك!! إن الله عزَّ وجلَّ لا يعذب علىٰ جريان حكمه، وإنما يعذب علىٰ مخالفة أمره[2].

مكانة العلم

قال الحسن:

الحلم وزير العلم، والرفق أبوه، والتواضع سرباله[3].

شرف العلم

انصرف الحسن يوماً من مجلسه، فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان، فوضع بين يديه كيساً فيه

---

(١) «قوت القلوب» ١/١٠١.

(٢) «قوت القلوب» ١/١٢٨.

(٣) «قوت القلوب» ١/١٤١.

خمسة آلاف درهم، وأخرج من حقيبته رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق بز خراسان.

فقال الحسن: ما هذا؟

فقال: يا أبا سعيد، هذه نفقة، وهذه كسوة.

فقال له: عافاك الله، ضم إليك نفقتك وكسوتك، فلا حاجة لنا بذلك. إنه من جلس في مثل مجلسي هذا، وقبل من الناس مثل هذا، لقي الله تعالىٰ يوم القيامة لا خلاق له[1].

جليس الخير

قال الحسن:

جالس من تكلمك أعماله، ولا تجالس من يخاطبك مقاله[2].

محدثان في الإسلام

قال الحسن:

---

(١) «قوت القلوب» ١/ ١٤٤.

(٢) «قوت القلوب» ١/ ١٥٨.

محدثان أحدثا في الإسلام:

رجل ذو رأي سوء، زعم أن الجنة لمن رأىٰ مثل رأيه.

ومترف يعبد الدنيا، لها يغضب، ولها يرضىٰ، وإياها يطلب.

فارفضوهما إلىٰ النار، اعرفوا إنكارهم لربهم بأعمالهم.

إن رجلاً أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعو إلىٰ دنياه، وصاحب هوىً يدعو إلىٰ هواه، قد عصمه الله تعالىٰ منهما، يجيء إلىٰ السلف الصالح يسأل عن فعالهم، ويقتصّ آثارهم، لتَعَرَّضَ لأجر عظيم. فكذلك فكونوا[١].

التوبة النصوح

سئل الحسن عن التوبة النصوح فقال:

هي ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود إليه[٢].

---

(١) «قوت القلوب» ١/ ١٦١.

(٢) «قوت القلوب» ١/ ١٧٩.

طول المكث في الدنيا

قال الحسن:

ما رأيت الله تعالىٰ جعل البقاء؛ إلَّا لأبغض خلقه إليه، وهو إبليس[١].

مكانة الصلاة

قال الحسن:

ابن آدم، ماذا يعز عليك من دينك، إذا هانت عليك صلاتك؟![٢].

وقال:

كل صلاة لا يحضرها قلبك فهي إلىٰ العقوبة أسرع منها إلىٰ الثواب[٣].

عِدَة الكريم

قال الحسن:

---

(١) «قوت القلوب» ١/ ٢٦٤.

(٢) «قوت القلوب» ٢/ ١٠١.

(٣) «قوت القلوب» ٢/ ١٠٢.

عدة الكريم، فعل وتعجيل، وعدة اللئيم، تسويف وتطويل[1].

غفلة الإنسان عن ذنوب نفسه

قال الحسن:

ابن آدم، ما أوهنك وأكثر غفلتك، تعيب الناس بالذنوب، وتنساها من نفسك، وتبصر القذىٰ في عين أخيك، وتعمىٰ عن الجذع معترضاً في عينك، ما أقل انصافك، وأكثر حيفك[2].

حسن الجوار

قال الحسن:

ليس حسن الجوار كفُّ الأذىٰ، وإنما حسن الجوار احتمال الأذىٰ[3].

خير الأشياء

قال الحسن:

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٢٢.
(٢) المصدر السابق، ص٢٤.
(٣) المصدر السابق، ص٢٥.

العلم خير تراث، والأدب أزين خدين، والتقوىٰ خير زاد، والعبادة أربح بضاعة، والعقل خير وافد، وحسن الخلق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنىً، والتوفيق خير معين، وذكر الموت أوعظ واعظ[1].

الوسائل والغايات

قال الحسن:

الفهم وعاء العلم، والعلم دليل العمل، والعمل قائد الخير، والهوىٰ مركب المعاصي، والمال داء المتكبرين، والدنيا سوق الآخرة، والويل كل الويل لمن قوي بنعم الله علىٰ معاصيه[2].

ما ينبغي تعلمه

قال الحسن:

تعلموا ـ وفقكم الله ـ العلم للأديان، والطب للأبدان، والنحو لتقويم اللسان[3].

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص٢٧.
(٣) المصدر السابق، ص٢٨.

مشية المتكبر

رأىٰ الحسن نعيم بن رضوان يمشي مشية المتكبر، فقال:

انظروا إلىٰ هذا، ليس فيه عضو؛ إلا ولله تعالىٰ فيه نعمة، وللشيطان لعنة[١].

ألسنة وقلوب

قال الحسن:

يا عجباً لألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف[٢].

الحافظان

قال الحسن:

يا عجباً لابن آدم، حافظاه علىٰ رأسه: لسانه قلمهما، وريقه مدادهما، وهو بين ذلك يتكلم بما لا يعنيه[٣].

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٣٣.
(٢) المصدر السابق، ص٣٣.
(٣) المصدر السابق، ص٣٣.

ذكر الحسنات والسيئات

قال الحسن:

ابن آدم، تحب أن تذكر حسناتك، وتكره أن تذكر سيئاتك، وتؤاخذ غيرك بالظن، وأنت مقيم علىٰ اليقين مع علمك أنه قد وكل بك ملكان يحفظان عليك قولك وعملك.

ابن آدم، إن اللبيب لا يمنعه جَدُّ الليل من جد النهار، ولا جد النهار من جد الليل، قد لازم الخوف قلبه، إلىٰ أن يرحمه ربه(١).

أولىٰ

قال الحسن:

لا شيء أولىٰ بأن تمسكه من نفسك، ولا شيء أولىٰ بأن تقيده من لسانك، ولا شيء أولىٰ بأن لا تقبله من هواك(٢).

حب الدنيا كبيرة

قال الحسن:

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣٣.

ما عجبت من شيء كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر، وأيم الله إن حبها لمن أكبر الكبائر، وهل تشعبت الكبائر؛ إلا من أجلها، وهل عبدت الأصنام وعصي الرحمٰن؛ إلا لحب الدنيا وإيثارها؟[1].

الأبصار الباقية

قيل للحسن: هل يُرىٰ الله عز وجل في دار الدنيا؟

فقال: لا.

قيل: فهل نراه في الآخرة؟

فقال: نعم.

قيل: وما الفرق بين ذلك؟

فقال: لأن الدنيا فانية، وفان كل ما فيها، ولأن الآخرة باقية، وباق كل ما فيها، ومحال أن يُرىٰ الباقي بالفاني، والقديم الأزلي بالمُحْدث، وإذا كان يوم القيامة، خلق الله لعباده أبصاراً باقية، يرون بها

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٣٨ ـ ٣٩.

ربهم، تفضلاً عليهم، وإكراماً لهم[1].

لو عرف الإنسان أجله

قال الحسن:

وجد في حجر مكتوب: ابن آدم، لو أنك رأيت قليل ما بقي من أجلك، لزهدت فيما ترجوه من أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت في حرصك وميلك، وإنما يلقاك غداً ندمك، لقد زلّت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وتبرّأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، وصرت تدعىٰ ولا تجيب[2].

الإسلام حي

قال الحسن:

روي أن سعيد بن جبير رأىٰ رجلاً متماوتاً في العبادة فقال: يا ابن أخي، إن الإسلام حي؛ فأحيه، ولا تمته أماتك الله ولا أحياك[3].

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص٤٠.
(٣) المصدر السابق، ص٤٤.

المتوعّد بالموت

قرأ الحسن ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ألهىٰ، والله عن نار الخلود، وشغل عن نعيم لا يبيد.

ثم قرأ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر] ثم قال: أيها الناس، لو توعدكم مخلوق بموت، لما استقر بكم القرار، فكيف بوعد ملك الملوك، والحيّ الذي لا يموت؟!

وكان إذا قام بالقرآن وانتهىٰ إلىٰ هذه السورة لم يتجاوزها، ولا يزال يرددها ويبكي إلىٰ أن ينقطع نحبه، رحمه الله تعالىٰ[1].

الواعظ ليس معصوماً

قال الحسن:

أيها الناس، إني أعظكم ولست بخيركم ولا أصلحكم، وإني لكثير الإسراف علىٰ نفسي، غير محكم لها، ولا حاملها علىٰ الواجب في طاعة ربها،

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٤٩.

ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلا بعد إحكام أمر نفسه، لعدم الواعظون، وقلَّ المذكرون، ولما وجد من يدعو إلىٰ الله جلَّ ثناؤه، ويرغب في طاعته، وينهىٰ عن معصيته، ولكن في اجتماع أهل البصائر، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً حياة لقلوب المتقين، وإذكار من الغفلة، وأمن من النسيان، فالزموا ـ عافاكم الله ـ مجالس الذكر، فربَّ كلمة مسموعة، ومحتقر نافع، اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون[1].

عدم الرضا عن النفس

خرج الحسن يوماً علىٰ أصحابه وهم مجتمعون فقال:

والله لو أن رجلاً منكم أدرك من أدركت من القرن الأول، ورأىٰ من رأيت من السلف الصالح لأصبح مهموماً، وأمسىٰ مغموماً، وعلم أن المجدَّ منكم كاللاعب. والمجتهد كالتارك، ولو كنت راضياً عن نفسي لوعظتكم، ولكن الله يعلم أني غير راضٍ

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٦٠.

عنها، ولذلك أبغضتها وأبغضتكم[١].

﴿حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم﴾

رویٰ سلمة بن عامر قال:

صلينا الجمعة مع الحسن، فلما انصرفنا اكتنفنا حوله، فبكىٰ بكاءً شديداً، فقلنا: ما بالك، رحمك الله، وقد بُشرت بالجنة في منامك؟ فازداد بكاءً وقال: كيف لا أبكي؟ ولو دخل علينا من باب هذا المسجد أحد أصحاب رسول الله ﷺ لما عرف غير قبلتنا هذه، ثم قال:

هيهات هيهات، أهلكَ الناس الأماني: قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين، ما لي أرىٰ رجالاً ولا أرىٰ عقولاً، وأسمع حسيساً ولا أرىٰ أنيساً، دخل القوم والله ثم خرجوا، وعرفوا ثم أنكروا، وحرَّموا ثم استحلوا، إنَّما دين أحدكم لعفة علىٰ لسانه، إذا سئل: أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ قال: نعم! كذب ومالك يوم الدين.

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٦١.

إن من أخلاق المؤمن: قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وعلماً في حلْم، وحلماً بعلم، وكيساً في رفق، وتجملاً في فاقة، وقصداً في غنىً، وشفقة في نفقة، ورحمة لمجهود، وعطاء في الحقوق، وإنصافاً في استقامة، لا يحيف علىٰ من يبغض، ولا يأثم في مساعدة من يحب... ولا يمشي بالنميمة، ولا يتبع ما ليس له، ولا يجحد الحق الذي عليه، ولا يتجاوز في العذر، ولا يشمت بالفجيعة إن حلت بغيره، ولا يسرّ بالمعصية إذا نزلت بسواه...

وقال: هكذا كان أصحاب النبي ﷺ الأول فالأول، حتىٰ لحقوا بالله عز وجل، وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح، وإنما غير بكم لما غيرتم، ثم تلا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد][1].

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٦٩ ـ ٧٠.



المــراجع

١ ـ **كتاب الزهد**، لعبد الله بن المبارك، تحقيق الأعظمي، دار الكتب العلمية.

٢ ـ **كتاب الزهد**، للإمام وكيع، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، ط١.

٣ ـ **الزهد**، للإمام أحمد، دار الكتب العلمية ـ ط١، ١٤٠٣هـ.

٤ ـ **الرعاية لحقوق الله**، للمحاسبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبد البر، المكتبة السلفية ـ ط٢، ١٣٨٨هـ.

٦ ـ **الاستقامة**، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام.

٧ ـ **حلية الأولياء**، للحافظ الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٨ ـ **سير أعلام النبلاء**، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة ـ ط١، ١٤٠١هـ.

٩ ـ **إحياء علوم الدين**، للإمام الغزالي، دار المعرفة ـ بيروت.

١٠ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير، ط١، ١٩٦٦م.
١١ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، للقاضي ابن أبي العز، تخريج الألباني، طبع المكتب الإسلامي.
١٢ ـ **طبقات ابن سعد**.
١٣ ـ **البيان والتبيين**، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ـ القاهرة.
١٤ ـ **عيون الأخبار**، لابن قتيبة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.
١٥ ـ **العقد الفريد**، لابن عبد ربه، تحقيق سعيد العريان ـ دار الفكر.
١٦ ـ **شذرات الذهب**، لابن عماد الحنبلي.
١٧ ـ **الفرج بعد الشدة**، للقاضي التنوخي، دار صادر ـ بيروت.
١٨ ـ **الحسن البصري**، لابن الجوزي، مكتبة الخانجي ـ مصر ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١.
١٩ ـ **الحسن البصري**، للدكتور مصطفىٰ الخن، دار القلم بدمشق.
٢٠ ـ **قوت القلوب**، لأبي طالب المكي، مكتبة المثنىٰ ـ القاهرة.

الفهرس

مِن مَنشورَاتِ المَكتبِ الإِسلامِيّ

للمؤلف

- أضواء على دراسة السيرة.
- تهذيب حلية الأولياء للأصبهاني.
- الجمع بين الصحيحين للموصلي. تحقيق.
- دراسات جمالية إسلامية:
  - الظاهرة الجمالية في الإسلام
  - ميادين الجمال
  - التربية الجمالية في الإسلام
- السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).
- الغرانيق (قصة دخيلة على السيرة النبوية).
- الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
- محبة الله ورسوله شرط في الإيمان.
- من معين السيرة.
- من معين الشمائل.
- من معين الخصائص النبوية.
- مواعظ الصحابة.
- هكذا فهم السلف

مشروع

تقريب تراث الإمام ابن القيم رحمه الله

صدر منه عن المكتب الإسلامي:

١ ـ تقريب طريق الهجرتين.
٢ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب.
٣ ـ سيرة خير العباد.
٤ ـ البيان في مصايد الشيطان
٥ ـ القضاء والقدر.
٦ ـ قل انظروا.
٧ ـ فضل العلم والعلماء.
٨ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
٩ ـ الهدي النبوي في العبادات.
١٠ ـ الهدي النبوي في الفضائل والآداب.
١١ ـ الروح.

وصدر عن دار القلم بدمشق:

١٢ ـ طب القلوب.
١٣ ـ الجواب الكافي (الداء والدواء).

تحت الطبع:

١٣ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين.
١٤ ـ المهذب من مدارج السالكين.

